الموسوعة القبطية الشاملة (١)

(٥)

عذارى حكيمات

دياكون
د/ ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة



عذارى حكيمات

الجزء الأول

سِيَرَ «١٩» من الشهيدات والناسكات والخادمات المكرسات

تقديم
القمص يوحنا منصور
وكيل مطرانية الجيزة

ترجمة وإعداد

دياكون د. ميخائيل مكسي اسكندر

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٨/٨٥٧٠

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 12 - 0329 - 8



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

«توجـد كـثـيـر من سَيَر القـديسـات الشـهـيدات، وكـثـيـر من سَيِر القـديسـات التـائبـات، مع مـشـاهير القـديسـات، من راهبات وشمـاسـات وأمـهـات..... ولبعض هؤلاء سَيَر مـوجـودة في المخطـوطات، مع وجود سَيِر أخري، في كـتب مطبوعـة، وسَيِر في الكـتب العـامـة، وفي دوائر المعارف».

«ونود أن يتخصص البعض لتجميع هذه السير، لكي تكون مكتبة للمرأة. وتقدم مثالاً طيباً للقدوة».

«أنه مـشـروع نُقـدّمـه لـلمَرأة، ويمكن أن تُضَاف اليه أيضاً سيَر المُعاصرات للأحياء».

قداسة البابا شنودة الثالث

(مجلة الكرازة ١٩٧٩/٦/٢٩)

تقديم لجناب القمص يوحنا منصور

(وكيل مطرانية الجيزة)

هذا الكتاب.......

يُقدّم باقة روحية لنفوس أثمرَت بفعل الرُوح القُدس وسيَر عطرة، نحَيا الآن، في بركة صلواتها، التي يشتمهًا اللّه رائحة بخور.

+ يُقدّم سجلاً أمينا ودقيقاً، ومَرجعاً قيماً للبحث والدراسة، والتأمُّل والإقتداء، لعذاري بحق، كما هو عنوان الكتاب «حكيمات» إقتنيّن خلاص أنفسهن بعد أن كان فريق منهن قد أُستّعبَد للعالم. وحينما أضاء نور المسيح قلوبهن. وأشرق عليهن الغَني بحبه، عشقنّه وسرن وراءه، في إستهانةٍ بالآلام.... وهن يعلّمن أنها تَعبُر بهن الي الأمجاد، في تسليم، لا في استسلام، في حب حقيقي مقدس، ملَك علي قلوبهن، وأرواحهن، وأجسادهن. فصار هو – العريس السمائي – كل شيء لهن في هذا العالم المادي. والآن في عالم الروح.

إلـــــي:

+ محبي الطهارة وراغبات البتولية......

+ الساعيات الي الكمال ... والقداسة العَملية.

+ الناظرات الي أورشليم السمائية، حيث الحَمل....

أقدّم: هذا الكتاب، ليكون بَركة لكل قاريء وقارئة، ولكل من يسيرون دائماً في نور المسيح وحسب إنجيله المُبارك، منتفعّين بصلوات أولئك اللواتي تعطرت أرضنا بعبير صلواتهن المرفوعة أمام العرش الإلهي.

وأُهنّيء: الكاتب العزيز، علي مجهوده المبارك، والرب يعطيه نمواً، حتي بإرشاد الروح القدس. يُقدّم للمكتبة كل ما هو جديد. وما فيه نَفع المؤمنين، آمين.

القمص يوحنا منصور

الجيزة في ٢٩ / ٦ / ١٩٧٩ م
(٢٢ بؤونة ١٦٩٥ ش)

مقدمة الكاتب

(للطبعة الأولي)

تَحدَّثنا في كتابٍ سابق – عن «مفهوم الزينة في المسيحية» وعن المباديء العامة المُستمَدة من تعاليم الكتاب المقدس، وأقوال الآباء القديسين، التي ينبغي علي المؤمنات أن يطبقنَّها بأمانة، ليكُّن بلا عثرة أمام اللّه والناس، ويسرّن في حياة النعمة والقُّدوة الصالحة، والزينة الداخلية، وعفة القلب والذهن والجسد.

ويضم هذا الكتاب صوراً جميلة، لسلوك قديسات بارزات، عِشنّ في نقاوة القلب والفكر. كما يشمل نماذجاً أخري لشهيدات أمينات، تَحملّن الآلام الكثيرة، من أجل الله، حتي نلِّن الأكاليل.

وكذلك نجد أمثلة وافية من سيَر التائبات، اللواتي تركّن الخطية، وعشن بقية عمرهن مع الرب، في حربٍ مريرة، ضد رغبات الجسد ، وضد محاربات عدو الخير، فطهرّهن الروح القدس، وصيرّن بتوليات في الروح والجسد.

وقد أُختِير إسم «العذراى الحكيمات» عنواناً لهذا الكتاب، من المَثل الشهير، الذي قدّمه لنا رب المجد (مت ٢٥: ١ – ١٢).

والذي رَسم فيه صورة واقعية لخمس شخصيات، من الفتيات الحكيمات، المُستعدات للقاء عريسهن يسوع، في الفرح السمائي الدائم، وذكَر لنا المخلّص أيضاً حالة خمس عذاري «جاهلات» إنشغلّن عن أبديتهن، فحَرّمهُن الرب من عُرس السماء!

وإن لم يَذكر لنا الرب يسوع أسماء «**العذراء الحكيمات**» إلا أن هذا الكتاب يُقدّم نماذج عَملية، من سيرهُن الطاهرة، وسَهرّهُن الروحي، واستعدادهن للملكوت بالتوبة الصادقة. والأعمال الصالحة، والخدمة المباركة، والصبر والشُكر والعبادة الحارة.

وهذه السَير منقولة – بأمانة – من تاريخ الكنيسة، كما تركها لنا الآباء. لتكون عظة عمليَّة، نُسجلّها مُجملة ومُوجزَة. فى عدة أجزاء تحقيقاً لرغبة **قداسة البابا شنودة الثالث**، في هذا المجال، وحتي ننظر «إلي سيرتُهن ونتمثّل بإيمانهن» (عب ١٣:٧). وهي في الحقيقة درس عملي، لكًل نفس. وحَري ببنات المسيح أن يُقلدّنهن في سلوكهن، ليكن معهن في فرح السماء، بركة صلواتهن تكون معنا. آمين.

والي اللقاء في كتاب آخر من هذه السلسلة .

دياكون د. ميخائيل مكسي إسكندر

الجيزة في ١٩/٢/١٩٩٣ (١٠ برمهات ١٧٠٩) «عيد الصليب المجيد»

١ - القديسة كاترينة (سانت كاترين)

عروس المسيح:

تربّت «كاترينة» في أسرة قبطية شريفة بالاسكندرية. غنية بالماديات والروحيات، وكانت أمها الحكيمة تُعلّمها - منذ طفولتها - حُب اللّه، وضرورة تكريس الحياة للرب المُحب. وسَردت لها قصص القديسات، والشَهيدات، فتعلقّت بتلك الشخصيات المُباركة. وتثقفت الفتاة أيضاً بأهم علوم عصرها، وداومت علي قراءة الكتاب المقدس والصلاة.

وفي رؤيا مباركة، شاهدت البتول «مريم» تتقدم اليها، حاملة طفلها يسوع، الذي لما رأي كاترينا، أدار وجهه، ولم يلتفت اليها!! وقال لأم النور: «إنها ليست جميلة (روحياً) لأنها لم تتعمد بعد»!!

وبعد هذه الرؤيا، تم تعميدها. وفي نفس الليلة نامت كالعادة، فظهر لها الفادي من جديد، ومعه السيدة العذراء، ومجموعة من ملائكة السماء، والعذاري الحكيمات، من القديسات والشهيدات،

وأعلن المُخلّص أمامهم أنه قد اتخذ «كاترينا» عروسا له. ثم ألبسها خاتماً في يدها، علامة علي هذا الرباط الروحي الإلهي! ولما استيقظت الفتاة من نومها، رأت خاتماً حقيقياً في يدها اليمني!! فأدركت صدق الرؤيا، وعزمت من قلبها أن تكون عروساً للمسيح وحده!

وأرادت القديسة أن تتعمّق في معرفة اللّه أكثر فأكثر، فدرست علوم اللاهوت والفلسفة، في مدرسة الاسكندرية (التي أنشأها القديس «مارمرقس الرسول») ومع غزارة علمها ظلت وديعة، بعيدة عن كل عجاب بنفسها. وكانت قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها في ذلك الوقت.

تشجيع الضعفاء:

وقد أصدر الامبراطور الروماني مكسيميانوس منشوراً، بضرورة الذبح للأوثان، وإلاَّ تعرَّض للقتل! وقد رفض مسيحيو الإسكندرية تنفيذه، بتشجيع كاترينة، التي كانت تطوف بشوارع المدينة، وتدعو المسيحيين لحضور اجتماعات، في بيوت المؤمنين، حيث كانت تثبتهم علي الإيمان، وتُزهّدهم في الحياة الفانية،

وتُرغّبهم في الحياة الأبدية. فعادت لهم غيرة آبائهم، ورفضوا طاعة الإمبراطور الشرير.

وجهاً لوجه أمام الإمبراطور:

إستأذنت كاترينا في مقابلة الامبراطور، وكان في زيارة للإسكندرية فدخلت الي مجلِسه وكان معه الوزراء والضباط وكهنة الأوثان، وسمح لها أن تتكلم، وهو متذرع بالصبر! وكان حديثها عن المسيحية قد أغضَبه بشدة، ولكنه قاوم شعور السخط، عدة مرات! ثم رَجاها أن تنتظر الي فرصة أخري، حالما ينتهي من تقديم الذبائح للآلهة، ثم يستمع إليها.

ثم تحدثت القديسة معه، مرة أخري، فأقنعته بأدلتها المَنطقّية، بوجود الله، ولكنه تظاهر بأنه لم يدرس الفلسفة، حتي يمكنه أن يرد عليها، ووعدها بإحضار أقدر علمائه الذين سيُظهرون كُفر ما تعتقد به.

شهادة باللسان:

إنتظرت الجموع هذه المناظرة – التي كانت الأولي من نوعها في تاريخ الإمبراطورية – بفارغ الصبر. أما القديسة فقد قضت

أيامـهـا. في صـلاة وصـوم. وتذلّل أمـام الله. لكي يُؤاذِرها بروح الحكمـة. فظهـر لهـا مـلاك الرب. ووعـدهـا بالمعـونة الإلهـيـة القـوية. وكان المؤمنون يُصلُّون من أجلها أيضاً.

وفي اليـوم المُحـدد للنَدوة، إجـتـمع عُظمـاء الاسكندريـة، وكل علمائه الوثنيين في قاعة القصر الكبيرة. يتوسطهم الإمبراطور. ولما دارت المناقشـة. إسـتطاعت الفـتـاة المُؤيدة بالروح القـدس، أن تستولي علي النفوس، وتُثير الإعجاب!

وانتهت الجلسة بإعتراف كبار الفلاسفة الوثنيين بعجزهم أمام قـوة منطقـهـا وسـلامـة رأيهـا، وأعلنوا إقـتناعـهم التـام بكلامـهـا، فـاشـتـعل غضب الإمبراطور المُكابر، وأمر بإعداد أتون نار، ليُلقيَ فيه كل العلمـاء، الذين أعلنوا إيمانهم بالمسيحية، وسألوا كاترينا أن تصلي من أجلهم، ثم تقدّموا الي النار بكل شـجـاعـة وإيمان ونالوا أكاليل المجد.

تصميم علي الحق:

قـضـي الأمـبـرَاطور ليلتـه في اضطرابٍ وقلق. مـا عسـاه أن

يفعل بكاترينا، وفي الصباح أسرَع باستدعائها. وأمرها بأن تقدّم ذبيحة للآلهة. فأجابته بالرفض، فحذرّها من العذاب الشديد، لكنها طلبت منه أن يفعل ما يريد، وقالت له بكل شجاعة، «إنني واثقة أن عريسي يسوع، سينظر الي ضعفي، ويُقوّيني».

كَسَب نفس للرب:

رأت زوجة الامبراطور رؤيا جميلة، عن كاترينا. فذهبت الي القديسة سِراً، بمّصاحبة قائد السجن، فتعزّيا كلاهما بكلامها، وآمنا بآلهِها. وتنّبأت لهما بأنه سينالهما الكثير من الآلام، بعد ثلاثة أيام!

ولما عاد الإمبراطور يطلب كاترينا، دُهش من تَحسُّن صحتها، فأخذ يلّح في الزواج منها، حيث أعجب بها. فوبّخته علي شهواته. فتركها في السجن وتوعّدها بأشد العقاب.

المزيد من الآلام:

اخترع أحد الحكام آلة جديدة للتعذيب، تُصدِر أصواتاً مُزعجة ومُخيفة. ووافق الإمبراطور علي تجرِبّتها علي القديسة!فوقفت أمامها بكل ثبات، وصلّت الي الرب، طالبة معونته في وقت الضيق.

وبدأ الجلادون يُديرون الآلة الرهيبة، بعدما قيدُّوا كاترينا، بحبالٍ متينة لكي يرفعوها علي أسنان الآلة الحادة، لتمزق جسدها! وإذا بيد خفية تمتد إليها وتقطع الحبال!! فتدحرجت القديسة نحو الأرض، ولم يصبها أيُ سوء! ولما كرر الجلادون المحاولة، خانتهم قواهم فاجتذبتهم الآلة نفسها، وقطعتهم أسنانها الحادة!

ولما رأت الملكة إحتمال كاترينا، نصحت الإمبراطور – مع قائد الحرس – بالتوّقف عن تعذيبها، والإيمان بالمسيح!! فغضب من كلاهما، وأمر بقطع رأسيهما مع مائتين من الجُند، آمنوا بالمسيح، لَمَا رأوه من إحتمال الشابة كاترينا، وبذلك نالوا أكاليل الشهادة، وكانوا الهديَّة الثانية التي قدّمتها لعريسها يسوع.

العَروس تزّف الي عريسها:

خجل الأمبراطور من سُخرية الناس له، بسبب عدم مَقدرته علي مُقاومة إيمان هذه الشابة المُباركَة. فأمر بنفيها، ومصاُدرة أملاكها، لأنه ظن أنه تحت ضغط الحاجة الي المال، تخور، وتَقبلّ

مَطالبه الفاسدة! ففرحت بهذه التجربة الجديدة، لأنها إقتنت الكنز العظيم الدائم «وهو الرب يسوع» التي ستعيش معه، في أي مكان في العالم ثم تَلحق به في السماء.

فلما رأي أنها لم تتأثر بتهديده، إنتابته نوبة جنونية، وأمر بقطع رأسها فوراً، بدلاً من نفيها! وقدّمت القديسة شكراً قلبياً للرب، لسماحه لها بالاستشهاد علي إسمه. وصلّت القديسة – أيضاً - طالبة أن يُسامح الرَب كل من آذاها، وصلّت كذلك من أجل كل من طَلب أن تَذكُره في صلواتها. وبكل هدوء، أمرت الجلادين بأن يُسرعوا بقطع رقبتها، لتُسافر الي عريسها الغالي، الذي ينتظرها بفرح وشوق في المجد، ورحلت «البتول» الي السماء سنة ٣٠٧م. وقد حَمِلَ جسدها الي الدير، الذي يحمل إسمها بسيناء «**دير سانت كاترين**» وقيل إن الملائكة هي التي حَملت الجسد الطاهر، الي هذا المَوضع المبارك، بَركَة صلواتها تكون معنا، آمين.

٢ - القديسة أنستاسيا

الجهاد في البرّية المصرية:

كانت هذه العذراء العفيفة «شماسة» في كنيسة القديسة صوفية بالقسطنطينية. وكانت من عائلة غنية هناك، وقد حاول الإمبراطور المسيحي «چستنيان» الزواج منها، بسبب جمالها الخارق (رغم أن زوجته كانت معه)!! ولكن عروس المسيح الشّجاعة وبختّه على شهواته. وأعلنت له أنها قد عزمت أن تحفظ نفسها طاهرة. وكانت تتعبد لله ليلاً ونهاراً.

ولما حاول الإمبراطور إستمالة قلبها - مرة أخري - سافرت سراً الي دير للراهبات، قرب الإسكندرية، ثم هربت لبرية شيهيت (وادي النطرون)، حيث توحدّت وتزّيت بزي الرجال، وأسمت نفسها «الراهب أنسطاسيوس»، ولكنها كشفت أمرها للقديس العظيم «أنبا دانيال» قمص شيهيت.

فعيّن لها القديس مغارة بعد ١٨ ميلاً، من مكان الرهبان،

وكان يُرسل اليها تليمذَه - مرة واحدة أسبوعياً - وكان يمدها بما تحتاج اليه (دون أن يعرف شخصيتها) ويضع ما تطلبه، أمام باب مغارتها. حيث كانت القديسة تضع له قطعة من الفخار. تكتب عليها ما تحتاجه من الأنبا دانيال، وهكذا عاشت وحدها مع عريسها المحبوب يسوع.

الراحة بعد الجهاد الكثير:

وظلت العذراء الطاهرة تتعبدّ لله، في صمتٍ، وفي حُبٍ كامل للرب، مدة ٢٨ سنة مُتواصلة، مُتمتَعة بعشَرة عريسها يسوع، وذات يوم عاد اليها الراهب، فوجد مكتوباً علي قطعة الخزف عبارة: «يا أنبا دانيال. تعالَ وأحضرِ الأدوات»!! فلم يعلَّم ما هو المقصود؟! أما القديس فقد علِم أن ساعتها قد جاءت فبكي تأثراً ومضي اليها مع تلميذه، فوجداها بحُميٍّ شديدة. وصلّت البتول من أجلهما. لكي يعوّضهما الرب، عن تعبهّما من أجلها، ثم أوصت الشيخ بأن يدفنها كما هي (بملابسها).

وما أن تناولت من الأسرار المقدسة. حتي أشرَق وجهها بنور عجيب، ورسمت علامة الصليب. وقالت: «يارب في يديك أستودعُ

روحي». وهكذا استـراحت البتـول. بعـد جـهـادٍ طويل. وللوقت إنتشرت رائحة بخور جميل (تأملوا معي المُتعطرات بطيب العالم، اللواتي تُنتن أجسادهن فور موتهن)!! فبكيا كلاهما وحفرا لها قبراً – في المغارة – ليُودِعا فيه الجسد المقدس. بينما رحلت روحها الي العُرس الدائم.

ولما أمر الأنبا دانيال – تليمذه – بأن يلبسها الأكفان، فوق ملابسها حسب وصيتها، إكتشف أنها أنثي، وأن ثدييها قد يبسا، من كثرة الزُهد، كأنهما من ورق الشجر!! فأعلم الأنبا دانيال تليمذه بقصتها كاملة، وأعلن له كيف أن القُوّاد والأمراء، ورُسل الإمبراطور والولاة، قد فشلوا في العثور عليها، حتي ساعة نياحتها سنة ٥٧٦ م.

وقال الأنبا دانيال في رثائها: «إعلم يا ولدي الحبيب، أن هذه الفتاة قد فاقت قديسين كثيرين، وأبطال نُساك مُجاهدين، ووصلت الي درجة عالية من الروحانية، مع أنها كانت من أعرَق الأسر الشريفة المُترفة! وقد جاهدت العدو الشيطان، وطحنت جسدها (بمعيشتها بالنُسك، وفي ظروف الصحراء الصعبة). وقضت

أيامـهـا في خـدمـة الله، ورفـضَت إغراءات العـالم وشـهـواته، ومناصبـه، وراحـتـه الزائفـة، أمـا نحن فلمـا كنَّا في العـالم (قـبل الرهبنة) فـقـد كنا - بالكاد - نشـبع من الخـبـز، ولما جـئنا الي الرهبنة، صـارت لنا راحـةٍ (تيـسرّت لنا هناك سُبل العَيش) ولم نستطع أن نقتني فضيلة واحدة، مما اقتنتّه هذه القديسة» (وهو بالطبع إتضـاعا، وإنكار لذاتِه) بَركة صلواتها وطلباتها تكون مـعنا آمين.

٣ - القديسة تائيس

الجَمال الخادِع للبَشر:

كانت فتاة علي جانب كبير من الجمال الجسدي. وكانت أمـها - الغير مُتديّنة - تأخذها معـها الي السوق، لتعمل معـها هناك، وبسبب جمالها البارع والُمخادع، وعدم حشمتها المناسبة. أسقَطت كـثيرين في أفكار الشـر (ومـا أصـعب عثرَة المرأة) وجـاء اليـهـا المحـتـرقـون بنار الشـهـوات لمشـاهدتهـا. فكانت تُلهب قلوبهم

المتعطّشة للخطية!! وبعضهم قد إعتراهم الجنون بحُبها، والوَلع بها. فباعوا كل أملاكهم ووضعوا كل أموالهم تحت قدميها، في تجارة الدَنس (وما أغلي أجرة الخطية! وما أكثر أضرارها!!).

فلما سمع القديس «بيصاريون» عن سلوك تائيس الشائن، حزن جداً في قلبه، علي هذه الشابة المسيحية المُعثِرة التي دفعت بكثرين الي الجحيم. فاتخذ لباس إنسان عالمي، وحمل معه ديناراً، ومضي به الى دارها، ودَفعه اليها فأدخلته الي حُجَرة داخلية، بقصد فعل الخطية!

جسارة وتوبيخ:

أمرت الفتاة الخاطئة. أن يصعد الشيخ الي فراشها العالي! أما القديس فقد قال مُتسائلاً: «ألا توجد حجرة أخري بداخل الدار؟!» فأجابته بالإيجاب، فقال لها : «إذن فلندخل إليها معاً»!

فقالت له تائيس، في جرأة عجيبة، «إن كُنَت تخجل من رؤية الناس لك فإعلم أنه لن يرانا أحد، في هذه الغرفة، ولكن أن كنت تخشي اللّه، فهو يستطيع أن يرانا في كل مكان»!

فلمـا سمع القـديس منهـا هذا الكلام (دون أن يُؤَبِّخـهـا ضـميرها عليه). إبتـدأ يُحدِّثها عن الدينونة الرهيبة - للخُطاة - في جهنم، والعذاب الأبدي المُعدّ للأشرار. كما كلمـها بصراحة عن عثرتهـا للناس وأضـرارها. وكانت الكلمات صادرة كسهام قوية من الروح القدس. فلمَست كلماته قلبها القاسي، واستيقظ ضميرها. فألقت بنفسها تحت قدميه باكية وراجية التوبة.

فأمرها القديس بأن تخرج معه فوراً، الي خارج، وأن تترك مكان الدَنس. فقامت بسرعة وجَمعت كل ما كسَبَته من مال حرام، وصرخت بصوت عالٍ وقالت «هلموا جميعاً يا من تاجرتم معي (في الدنس). انظروا! ها أنذا أحـرق - أمـام أعـينكم - كل مـا جمعتّه منكم بواسطة الخطية»! وبعدما أحرقت ما قيمته ثلاثمائة جنيه ذهب - من المتاع والملابس الغالية - ذهبت مع القديس بيصاريون الي دير للعذاري.

علامة التوبة المقبولة:

عاشت تائيس في قلاية - ذات نافذة ضيقة - وكانت إحدي الراهبات تُحضر لها طعامها منها. وكان القديس بيصاريون، قد أمر بأن يعطوها خبزاً وماءً فقط!

ولما طلبت الخاطئة من الطوباوي أن يُعرِّفها كيف تصلي. رد عليها القديس بقوله: «أنتِ لا تستحقين أن تنطقي بشفتيك النجستين باسم اللهّ «القدوس». ولا أن ترفعي له يديك الغير طاهرتين! فثبتّي نظرك نحو المَشرق وقولي: «يا من خَلقتني إرحمني». ومكثت التائبة تُردّد هذه العبارة مدة طويلة!

وبعد ذلك، أشفق القديس بيصاريون عليها، بعدما لمس توبتها، من كل قلبها ومضى الي القديس العظيم أنبا أنطونيوس، يسأله إن كان اللّه قد غفرَ لها أم لا؟!

فدعا أنبا أنطونيوس تلاميذه، وصلّوا جميعاً إلي اللّه – لكي يكشف لهم أمرها!! فكشف الله الأمر للقديس «بولس البسيط» (النقي القلب)، في رؤيا روحية. فرأي مَوضعاً جميلاً جداً (في الفردوس). كما شاهد ثلاثة من الملائكة النورانيين يحملون مصابيحاً، حول كرسي عليه تاج!! فظن القديس بولا، أن هذا الكرسي مُعدّ – في السماء – لأبيه القديس أنبا أنطونيوس! ولكن أحد هؤلاء الملائكة قال له: «إن هذا الكرسي مُخصّص (من الله) للعابدة التائبة تائيس» (وشكراً للرب المُحّب لكل تائب).

ولما ذَكر الرؤيا للقديسين، فرحوا بخلاصها من خطاياها،

وذهب القديس بيصاريون إليها، لإخراجها من مكانها، الي موضع آخر، أكثر راحة، ولكنها فضّلت أن تظل في مكانها. حتي ساعة نياحتها. وقال لها القديس: «إن الرب لم يغفر لكِ من أجل توبتكِ ولكن من أجل إرادتك الصادقة، في تسليم نفسكِ للمسيح، (فما أجمل الطاعة للمُرشِد الروحي)!!

وهكذا رجعت تلك النفس الضالة. الي الراعي الصالح. وسارت معه بأمانة بقية أيام غربتها القصيرة في الدنيا، ثم إنطلقت بسلام الي إله السلام. بركة صلواتها تكون معنا. آمين.

٤ - القديسة الشهيدة بوتامينا

إصرار علي مقاومة الشر:

وُلِدت هذه الشابة الفقيرة. في الإسكندرية. في أوائل القرن الثالث الميلادي. وقد ربّتها أمها «مارسيلا» تربية مسيحية أمينة، فنَمت في الفضيلة ومحبة المسيح (وما أعظم وأهم أثر التربية في الصِغَر. وهو نموذج لكل أم حكيمة ومباركة).

ونظراً لحاجة الأسرة الي المال، فقد صارت « شغالة» بمنزل أحد الوثنيين الأغنياء. فأراد أن يُدّنس عفتّها. فقاومته بشدة، وبعزم ثابت، مُستعينة بمعونة اللّه، فنالت النجاة. من دَنس الخطية وعارها.

آلام الزمان الحاضر:

ذهب الغَني الشرير، وشكاها للوالي الروماني، ورَشاه بمال وفير. فلاّطفها الوالي بكلام لين، لكي تقبل العذراء الطاهرة رأي هذا الغَني الشهواني بالزواج بها! فرفضت هذا العَرض (لأنه لا شركة للنور مع الظُلمة). فأعلمه الغَني أن بوتامينا مسيحية! وأنها ترفض ترك مسيحيتها.

فثار الوالي لتمسّكها بإيمانها، ورفضها إغراءات العَالم الفاني، وأمر بأن تُوضع في قِدر مملوء بزيت مغلي. فقبلت هذا الحُكم الظالم، بالشُكر القلبي لله، علي نعمة الآلام من أجل إسمه (حقاً إن الألم بَركة عُظمي).

وكانت أمها المؤمنة الصادقة، تُشجّع إبنتها، بمواعظها وإرشاداتها، لتتمسّك بمسيحها، لأن آلام الزمان الحاضر، لا

تُقاس بالمجد العتيد أن تناله في الأبدية السعيدة. ثم مضت معها أمها الي ساحة التجربة الصعبة، وكانت تصلي من أجلها فسندّها اللّه، حتي نالت إكليلها العظيم.

قلب رحيم:

ولما أراد الجنود (الرومان) نزع ثيابها قبل إنزالها، في القدِر، رجتهّم البتول بالحاحٍ شديد، حتي يتركوها تنزل بثيابها، ثم تخلعها بنفسها، بعدما تنزل داخل الوعاء، خوفاً من إعثارِهم بجسدها العاري (قارني ذلك «ببنات اليوم» اللواتي يرتدين ثياباً شفافة – أو ضَيقة – وشبه عارية – أمام الغير، بلا مّبالاة بنتائج العثّرة. ولا إهتمام بحفظ هياكلهن المقدسة). وفي ذلك صعوبة أكثر من إلقائها في الزيت دفعةً واحدة، إذ طلَبت منهم أن يسكبوا الزيت المغلي عليها دفعات، لا أن تُلّقي في الزيت دفعة واحدة!! ولكن الجنود الأشرار. رفضوا نداءَها ورجاءَها. إلا أن أحدهم المدعو «باسيليوس» ساعدها في تحقيق هدفها المقدس. وحماها من تطلّع زملائه إليها. ودَفع عنها السُخفاء! فقدرّت شعورَه الطيّب من نحوها. وأعلنت له بمحبة. أنها مّزمِعة أن تتشفع من أجله أمام الرب، عندما تمضي اليه. وبذلك نالت إكليلها.

إنجاز الوعـــد:

حقـقّت الشـهيدة بوتـامينا . مـا وعدت به «باسيليوس» الجُندي الوثني الحَنون فـبعدما صـعدت روحـهـا الطاهرة. الي عـريسـهـا وفاديها ، صلّت من أجل هذا الجندي، فلمست النعمة قلبه، خاصة بعـدمـا رأي القـديسـة في حلُم بعد ثلاثة أيام من إستشـهـادها وبيـدها إكليل وضـعتّـه علي رأسـه. وأعلَنت له إنه بعـد ثلاثة أيام سيكون معها في المجد. فتذكرً ما قالتّه له من قَبل!

وعندمـا طلب منه زمـلاؤه الجُند أن يحلف - ذات مـرة - بالآلهة الوَثنية. علي أمرٍ مُعيّن. أعلن لهم صراحةً بأنه قد «صار مسيحياً» فظنوّه يَهذي أولاً. ثم تحققوا من صِحة عزيمته، فأبلغوا الوالي الذي أمر بسجنه!

ولما سـمع به البـابا الاسكنـدري الأنبـا «ديمتـريوس الكّرام» أرسَل له القديس خَادماً، لكي يُثبتهّ في الإيمان المسيحي، ويُعرّفه بطريق الخـلاص، فـتمـسك الجُندي بحُب المسيح. ولما رأي الوالي إصرار باسيليوس علي الإيمان المستقيم، أمر بقتله. فلحق بأخته بوتامينا (كما أخبرتّه) واستراحا معاً في الفردوس. إنتظاراً ليوم المُكافـأة، التي تُوهَب للـمؤمنين المُجـاهدين، بَركـة صلواتهم تكون معنا آمين.

٥ - القديسة مرثا المصرية

اثر إهمال التربية الروحية:

وُلِدَت مرثا من أبوين مسيحيين، ولكنهما تركاها - للأسف - بدون تربية روحية، فإنحدرت الي خطية النجاسة، ودفعت وراءها جَمعاً كبيراً من الساقطين الذين أعثرتهم بقدوتها الدنسة، وسلوكها الشرير، حتي إشتهرت بشرّها في مدينة إنطاكية (السورية).

جسارة وتوبيخ من الروح القدس:

وفي أحد الأعياد توجهت الي الكنيسة، ولكن الشماس الموكل بالباب (حسب عادة الكنيسة الأولي) رَفض دخولها، لأنه كان يعرف سلوكها الشرير. ولما حدثت ضجة، من إصرارها علي الدخول لبيت الله، وسمع الأسقف بالداخل صوتها. وجسارتها في الدنو من المَقادس. دون إستعداد (إذ كان الأشرار يقفون بالدهليز الخارجي للكنيسة، الي أن تُقْبل توبتهم). خرج يعلّم ما حدث، بسبب الضوضاء.

فصرخ الأب الأسقف في وجهها - بكلمات شديدة - كالسهام النارية. وقال لها: «إن بيت الله مُقدَس ولا يدخله غير الأطهار! فتأثرت بشدة، من هذه الكلمات التي أرسلها الروح القُدس. ونخسَت قلبها. فبكت كثيراً أمامه. وقد تجسمّت أمامها كل آثامها ونجاستها، التي أغضَبت ربها.

علامة قبول التوبة:

وركعت المسكينة، أمام قدّمي الأسقف. وقالت بصوت منخفض، ممزوج بدموع الندم، «إقبلنّي يا سيدي فإنني نادمة علي كل ما فعلّت. ومُصممِة علي عدم العَودة للشر»!

فقال لها الأب بحنان وحُب «إن كان الأمر كما تقولين، فإذهبي وأحضري كل ملابسك الحريرية (الغالية) وزينتك الذهبية». فمضَت بسرعة، وحملّت كل ما تمتلك من مال وثياب، وأتت بها الي الأسقف. فباعها ووزع أثمانها علي الفقراء والمحتاجين. ثم أرسلها الي دير للراهبات. حيث جاهدت جهاداً مريرا، من أجل التَخلُّص من أفكارها القديمة، ولكي تخمد نار الشهوة المشتعلة

في جسدها، التي أثارتها عليها محاربات الشياطين، الغاضبة علي توبتها، وإنفلاتها من يدها! وكانت مرثا تصلي بحرارة وبصفة مستمرة قائلة: «إن كنّت يارب، لم أحتمِل الفضيحة من خادم بيتك، فلا تفضحنّي يا إلهي الحنون، أمام قديسيك، وملائكتك الأطهار في السماء»! .

وظلت تُجاهد باستماتة، في حياة التوبة، وفي زهد تام عن أمور العالم، لمدة خمسة وعشرين عاماً، ثم تنيحّت بسلام، بركة صلواتها تكون معنا. آمين.

(٦ - ٧) القديستان الشهيدتان بربارة ويوليانة

بربارة وحياتها الأولي:

وُلِدَت سنة ٢٢٠م، وكان أبوها «ديوسقورس» من الأشراف الأغنياء. وحاكماً لمدينة هليوبوليس (بآسيا الصُغري). وكان شديد التمسّك بأصنامه. وكان يكره المسيحيين. الذين كان عددهم يتزايد باستمرار في زمانه (أوائل القرن ٣ م) وقد عاشت الفتاة

الصغيرة «بربارة» وحيدة، بعد موت أمها. فرأي أبوها أن يحجزها عن الأنظار ليقيها مَفاسد هذا العصر، ويحجبها عن المسيحية المُتنامية. فأقام لها قصراً منيعاً وخصص لسُكناها غرفة واسعة. ذات نافذتين، في أعلي البُرج. حتي تستطيع الفتاة أن تُشاهد المدينة، دون أن يراها أحد. وأتي لها بأساتذة علموّها علوم عصرها كبقية بنات الأشراف، في ذلك الزمان.

وكانت العذراء حادة الذكاء، وكانت دائمة التأمُّل في خلق هذا الكوْن العظيم، بما فيه من أشياء بديعة، وأنه لأبد أن يكون «الخالق» غير تلك الأصنام الحجريّة الكثيرة، التي وضعّها لها أبوها، لُتتعبد لها في حجرتها.

وقد سمعّتها وصيفتها (الوثنية) تُناجي نفسها بصوتٍ مسموع، ذات يوم، وتتساءل عن تلك القوة الخفّية، التي تُدبر هذا الكوْن الواسع!! فردّت عليها قائلة: «آه يا سيدتي... كل ما ترينه من صُنع آلهتّنا» (الوثنية) فانتهرتها بربارة بشدة وتساءلت قائلة: «كيف تستطيع هذه الآلهة الصمّاء (الغير ناطقة) التي صنعتّها الأيدي البَشرية، أن تخلق هذا الكون المُترامي الأطراف؟!

شاهدة أمينة للرب يسوع

وكان من بين خدمِها فتاة مسيحية أمينة. سمعت كلماتها وآرائها الجريئة فتجاسرت وأعلنت لها حقيقة إيمانها. وعرّفتها سِراً بأسرار ملكوت السموات، وعن خالق الكون. وشَرحت لها قصة مجيء المسيح الفادي، مُخلصاً للعالم. وأتت لها ببعض الكُتب المقدسة، وسير القديسين من الجنسين.

ثم أخبرتّها بوصول «عَالِم» قبطي عظيم من مدرسة الاسكندرية اللاهوتية الشهيرة (وهو العلامة «اوريجانوس»). فكتَبت له بربارة سَراً. تشرح له أفكارها. ففرح بها، وأرسل لها رسالة تعليمية. مع أحد تلاميذه.

فلما قرأت الطوباوية الرسالة المُعزية. التي أجابت علي كل تساؤلاتها وحيرتها، استجابت فعلاً لدعوة الخلاص، وحرّكت النعمة قلبها، باشتياق شديد لمحبة المسيح، وقبلت كلمة الحياة بفرحٍ عظيم!

عروس المسيح:

وفي غـيـاب والدها عن البلدة، نالت العمـاد علي يد كـاهن مـصري، تصـادف وجوده هناك، ودُهِنَت بالميرون المُقدس، وتناولت من القُربان الأقـدس، وفـاضت نفـسـهـا بالشُكر والحـمـد لله، والتسبيح لعظمتِه. علي عطيته التي لا يُعبّر عنها. وقررت **في قلبها أن تحيا بتولاً، علي مِثال ام النور. والعذاري الحكيمات**، التي تأثرت بسيّرن الطاهرة، وجهادهن من أجل اللّه.

وحَدث كل ذلك، دون علمِ والدها (الوثني المُتـعـصـب). الذي كان يراها تتقدّم في العُمر. وتنمو في الجَمال الجسدي الخلاّب. فعرَض عليها أن يختار لها عريساً، من أبناء الأمراء والأشراف الذين قـصـدوه لطلب يدها. ولكن بربارة رفـضت بلُطفٍ بأنهـا لا تُريد مُفارقته وحدِه! ولكن أشراف المدينة، ألحوا علي والدها. في التقدُّم لخطبتها. فلما عرَض عليها الأمر. عـادت تُكرر له حبّها وتعلّقها الشديد به، فسكَت وعزِم علي الإبتعاد عنها قليلاً، حتي تَعتـاد علي فِراقه، وتُفكر في فَتي أحلامها، كبقية بنات سنها! فسافر وتركها وحدها بعض الوقت!

وهكذا أصبحت لديها فُرصَة للصلاة وقراءة كلام اللّه، والتأمّل في سِيرَ العذراي الحكيمات، من القديسات والشهيدات، فأزكى ذلكِ – في قلبها – نار الحُب ليسوع، الأبرع جمالاً من بني البَشر.

وأمرَت خُدامّها بتكسير كل الأصنام الموجودة حولها. وأمرّتهم أيضاً بفتح نافذة ثالثة، في حجرة خُلوتها، علي مِثال الثالوث القدوس. وظهرت لها ملائكة الرب (بعد هروب الشياطين من المكان). فكانت سلّوي لها في خلوتها الطاهرة.

مُواجَهة الاب بالإيمان الجديد:

ولما عاد أبوها وفاتحها في أمر زواجها، إمتنعت كعادتها، وحاولت تبرير موقفها. بأنها تُحبّه ولا تطيق الإبتعاد عنه. ولكنه أوضح لها مدي سعادته، حينما يراها زوجة، وأماً لأطفالٍ كثيرين. يملأون البيت من حوله.

فجمعت البتول كل قُواها. واستندّت علي نَعمة الروح القُدس، وصرّحت لأبيها بأنها قد خُطِبت لعريس سمائي، (**وهو يسوع المسيح**) فخاطبها بشدة لكي تُوضّح له «ماذا تعني»؟!

فأيقنت العذراء الحكيمة أن معركتها مع الشيطان قد بدأت (كما قال الحكيم إبن سيراخ: «يا إبني إذا بدأت خدمة ربك، فاستعد لجميع التجارب»). فتضرعت الي عريسها يسوع سرا، لكي يثبت عزمها. ثم قالت لوالدها بكل شجاعة وإيمان بالله: «إني مسيحية»! فصعق والدها من سماع الخبر! وجن جنونه، وأخذ يلعن ويشتم، وانهال عليها ضرباً، وهي صامتة كالحمل الوديع! ثم تركها وخرج، وهو لا يدري ماذا يفعل؟! وقد ثارت ثائرته أكثر وأكثر، عندما شاهد صليباً محفوراً علي جدران «الحمام» فتحقق من كلام إبنته.

فعاد اليها يلاطفها، ويظهر لها فظاعة عملها، وحماقتها في رفض عريس من الأمراء، وخسارة أمواله وإسمه، وشرف أسرته. ثم هددها بأن الامبراطور سوف ينتقم منها، ومنه أيضاً!!

حماقة الغضب:

فإندفعت بربارة – مشحونةً بقوة ومنطق الروح القدس – تدافع بحرارة – عن صحة إيمانها الجديد، وعن غباوة الإعتقاد في الأصنام. فلم يحتمل الأب الغبي أكثر من ذلك، وفي ثورة غضبه، أستل سيفه لقتلها: فهربت منه بسرعة. وكاد أن يلحق بها ويقتلها،

لولا صخرة كبيرة، حمتّها من بطشه. فوقف في دهشةٍ من أمرها!

ثم أسرَعت البتول، وجثت أمامه، وتضرّعت إليه بدموع غزيرة، ألا يُفتك بها، لئلا يتلوّث بجريمة شنيعة، فجعَل يضربها، ويلكمها بيديه، ويركلها بقدمه، ثم أمسك بها من شعرها، وجذبها حيث ربطها بالقيود، وطرحها علي الأرض، ومنع عنها الطعام والشَراب!

وفَرحت القديسة، لأنها إستحقَّت أن تُهان، وأن تتألم وتُسجَن، من أجل المسيح. وظهَر لها ملاك الرب يُشجّعها. فقَضت يومها وليلتها، تقتات بالدموع وتسكب القلب أمام الرب، ليسندّها ويقف معها في ضيقتها.

أمام الحاكِم العام:

مضي ديوسقورس الوالي المحلى الي الحاكم الروماني العام (في نيقوميدية) وأعلن له ما جري من العار والمَرار، من جرّاء إيمان إبنته الوحيدة «بالمسيحية» التي تقاومها الدولة. كما أكد علي ولائه للإمبراطور!

فأمره الوالي مركيانوس بأن يأتي له بإبنته. فجاء بها العسكر مُكبلَة بالسلاسل، وحولها الجموع تنظر ما يكون من أمرها!!

نظر الوالي الي صورتها الملائكية، وفي مكر وخُبث، أمر بفك قيودها ووبخ والدها علي استعمال العُنف معها. ثم أخذ يُلاطفها بدهاءٍ قائلاً: «لماذا تُحزنين شَيبة والدك؟! ألا ترين أنك - بعنادك - تحرمين نفسكِ من خيرات أسرتك؟!» ثم أضاف قائلاً: «عُودي الي رُشدكِ وقدّمي الذبائح لآلهتنا ولا تُعرِّضي نفسكِ لموت فظيع»!

فرفعت بربارة رأسها، ودافعت بحرارة عن إيمانها بالمسيح، وأثبتت للوالي بالمنطق وبالشواهد، فساد العبادة الوثنية! فاستشاط الوالي غضباً، وأمر الجلادّين بجلدها بُعنف حتي سالت الدماء منها علي الأرض.

ثم مَشطّوا جسدها الليّن بحديد مُسّنن. وأشفق عليها الحاضرون، ولعَنوا الوالي وجنوده، أما الشابة المؤمنة بربارة، فكانت تُسبّح الله علي بَركة الألم (وهو درس لكل مؤمنة).

ثم عَلقُّوها في الهواء، ورأسها لأسفل، ثم رَشُّوا علي جراحها ملحاً، ليزيدُوا من آلامها. ثم مرُّروا علي جروحها فخاراً حاد الأطراف، وبعد ذلك ألقوها في السجن. فكانت تُصلّي

وتتضرَّع الي اللّه، لكي يُثبتّها علي الإيمان به الي النهاية. فظهر لها الملاك، وشفاها الله!

يوليانة الحنونة:

وكان من بين الحاضرين فتاة وثنية تُدعي «يوليانة» رقّ قلبها علي ما شاهدته من آلام وتعذيبات القديسة بربارة، فتمنّت أن تواسيها، حتي ولو ماتت معها!

وفي صباح اليوم التالي، اقتيدت بربارة الي الوالي. وقد شُفَيت تماماً من جراحها. فرغب في المُغالطة. وقال لها: «أرأيتي ما فعلّته بكِ آلهتنا، وأنها قد شفّتكِ من جراحكِ. فأنظري مدي محّبتها»!!

فأجابته بتّهكّم قائلة: «كيف تعتقد أن هذه الحجارة - التي لا تتكلم ولا تعقِل - تستطيع أن تشفي الناس؟!».

مزيد من الآلام:

فهاج الوالي، وأمر بتعليق بربارة من شعرها، وأن يُمزّقوا جسدها بالسياط (التي تنتهي بكُرات من رصاص) وغمس المخارز الحديدية الحادة الطرف في جسدها فسالت منها الدماء أنهاراً!

ثم طَرَحُوها علي الأرض، وقـامـوا بـحـرق أطرافـهـا بالنار، ولكنها كانت ثابتة العزم، مستسلمة لأيدي الجلادّين. ولكن قلبها كان علي إتصال دائم بالله، ليُقوّيها علي إحتمال التجربة، حسب وعده: «أدعني في وقت الضيق، أنقذك فتمجدّني» (مز ٥١ :١٥)

شريكة في الآلام:

وأمام هذه القسوة، صرخت العذراء «يوليانة» وبكت بشدة، ووبخت الجلاّدين علي قسوتهم المُتنَاهية. فتم حبسها مع بربارة. في ذلك اليوم. وفي السجن تحدّثت معها القديسة، عن محبة المسيح، لها وكيف شفاها من كل جراحها. فآمنت بمسيحها وأحبتّه، ووعدتّها الفتاة بالوقوف الي جانبها في آلامها الصعبة.

فقيل للوالي أن «**يوليانة**» مسيحية، هي الأخري. فأمر بتعليقها وتعذيبها، وأن يُمشطُوا جنبيّها بأمشاطٍ حديدية حادة، وأن يضعوا حولها مشاعل مُتقدةٍ بالنار، لكي تشوي جسدها!

وصلّت القديسة بربارة من أجل يوليانة، لكي يسندها الله في جهادها المقدس، من أجل ربح النعيم الدائم، وهو ما تم فعلاً.

ملائكة الله تستر القديسة العفيفة:

لما فشلت كلمات الوالي اللينة، إزداد غضبه، وأمر بأن تُعرّي بربارة من كل ثيابها. وأن يطوف بها الجُند - عارية - في الأسواق العامة - ليراها كل الناس هكذا، ويبصق عليها كل من يراها. لكي تُعاني من الآلام النفسية، علاوة علي آلامها الجسدية.

فأضطربت البتول، لهذا التصرُّف الجُهنمي، وتضرَّعت الي الله، لكي يسترّها حتي لا تكون عُرضَة لعيون الأشرار، وما كادت تنتهي من صلاتها، حتي شُفيت من جراحِها، وعلاها نور شديد جداً، بعدما أحاطت بها ملائكة الله، تخفيها عن أعين البَشر، ولم يستطع أي واحد من الموجودين أن يحدِق فيها، لشدة الأضواء الإلهية من حولها!

فلما رأي الوالي ذلك خَجل من نفسه. وخاف من قُدرة الله العظيمة، وأمر بالإسراع بقطع رقبتها، هي وأختها يوليانة، هديّتها التي أخذتها معها الي عريسها يسوع.

إكليلان مجيدان:

ولما سمعت الجموع النُّطق بالحُكم. شاهدت رجلاً غاضباً. يتقدَّم الي الوالي، طالباً أن يسمح له بقطع رأس بربارة بيده!! وتعالت أصوات الدهشة «أبوها... أبوها»!! فأخذها أبوها الي الجبل، وكانت الجموع تلعنه، علي قسوته مع إبنته!

وهناك صلَّت القديسة بربارة قائلة: «أيها الرب الذي قال: من أحب أباً أو أماً، أو زوجاً أو حُقولاً - أكثر مني - فلا يستحقني.... يا ضابط الكُل، في يديك أستودع روحي - أنا وعبدتك يوليانة - فأقبلْنا إليك كذبيحة مقبولة، علي مذبح طاعتك» وقالت يوليانة «آمين». فلما فرغت القديسة من صلاتها سمعت صوتاً من السماء يقول: «مُستحّقة ... مُستحّقة الإكليل». فتشجّعت بربارة، وتهللّت بالروح للموت علي إسم المسيح، ثم هَوي أبوها «بالبلطة» علي رأسها، فصعدت روحها الي السماء وقطع السياف رقبة «يوليانة» وكان ذلك سنة ٢٢٥ م.

عـــدالة السماء:

وعندما رجع أبوها - مع الوالي - إنقضَّت عليهما صاعقة من السماء، وقتلت هذا الأب القاسي القلب. بينما تذكُر بعض

المصادر الأخري، أن الوالي قد أصابته لوثة عقلية. وهكذا نالا جزاءَ هما الرادع، والمؤقت في الدُنيا، علاوة علي العذاب الأبدي بالطبع، وإنطبق عليهما قول الكتاب «إن الذي يزرعه الإنسان، إياه يحصد أيضاً» (غل ٦:٧).

(٨) القديسة إفدوكيا

بداية مُحزنة لقلب الرب:

ولدت أفدوكيا (أى مَسرَّة الله) في بعلَّبك. بجبال لبنان. وكانت سامرية (وثنية)، من عائلة مُتوسطة، حَسنة السُمعة، وكانت فتاة ذات جمال باهر وكانت تهتم كثيراً بالتبرُّج والزينة الخارجية (كبنات اليوم المُعثَرات)!!

وكانت تُكثر من الخروج بمفردها، وتهاونت في سلوكها وعفّتها، فإنحدَّرت بسرعة نحو الخطية، وأطلقت لشهواتها العَنان، حتي إنغمست في النجاسة، واستمرت في شرها، بعد أن مات

ضميرها، ولم يَعُد يؤنّبها على فضائحها. بل على العكس، كان شيطان اليأس يدفّعها دائماً للتفنّن في أنواع الخلاعة والفساد، وإهلاك العباد!

عمل كلمة الله:

دبّرت عناية الله (مُحب خلاص النفوس) أن يتوجّه راهب ناسك، من القُدس، يُدعى «جرمانوس» لزيارة صديق له، كان بيته مُلاصقاً لمنزل إفدوكيا الشريرة، وقام هذا الرجل البار – كعادته الرهبانية – لِيُصلّي في مُنتصف الليل. ثم بدأ يتلو كلام الله، بصوتٍ عالٍ، ليُبعد عن نفسه كَسل الجسد. وكان موضوع التلاوة المقدسة عن الإستعداد للأبدية، ثم قرأ كتاباً عن عذابات الأشرار، في قاع الجحيم.

وكانت الفتاة النجسة تتجسّس – بدافع حُب الإستطلاع – عما يتلّوه هذا الرجل، من كلمات غريبة على أُذنها. ولكنها إخترَقت قلبها، كأنها سهام نارية تُمزّقه وتُذيب قساوته! فطار من عينيها النوم، وإمتلأ قلبها بالرُعب، والخوف الشديد، وبدأت دموعها تتساقط بغزارة. ندماً على حياتها الدنسة، وخوفاً من عذاب جهنم الشديد والدائم!

لقاء مع رجل الله:

ظلت المسكينة تنتظر طلوع الفجر - بفارغ الصبر - ثم أسرعت إلي مَوضع جرمانوس الراهب، وسألته عن ديانته، وعما كان يقرأه، وطلبت منه أن يُكلّمها عن هذا الدين الجديد.

فتحدث معها طويلاً، عن الأمور المُختصَّة بملكوت السموات، وعن محبة الله للخُطاة. وعن الدينونة الرهيبة، التي تنتظر الأشرار، في كل مكان، وإستخدمه الروح القدس بقوة لكي يُحدّثها عن الإيمان والتوبة، وعدم الرجوع الي الرزيلة، ثم دعاها للذهاب الي كاهن المدينة، ليُعلّمها قواعد الإيمان المسيحي. ويعدّها لتقَّبل العماد، بعد التأكُّد من صدق إيمانها، وتّركها للخطية، وعزمها علي حياة الطهارة.

بداية الطريق الي الله:

أطاعت الشابة المسكينة، ومضت مع الراهب الناسك. الي كاهن الرب، وبمُنتهي الشجاعة، الممزوجة بالخجل، اعترفت بشرورها كلها، وندمت عليها بشدة، وفرح بها رجل اللّه، وشكر الرب، علي محبته لكل الخُطاة.

وفرض عليها الكاهن أن ترتدي الملابس الخَشنة، وأن تختلي سبعة أيام، صائمة انقطاعياً، ومُصلّية لكي يرحمها اللّه.

وحَبست أفدوكيا نفسها، ومارست التوبة، بتذلُّل ودموع وجهادٍ كثير. فلما عاد اليها جرمانوس الراهب لم يعرّفها، لأن ملامح وجهها قد تغيرّت تماماً، من شدة نُسكها. وحُزنها علي خطاياها، وبُكائها المُتواصل علي كل شرورها السابقة.

تعزية السماء:

وفي اليوم السابع، رأت «أفدوكيا» رؤية سماوية مُعزية. إذ وهي ساجدة تُصلي، إنطلقت بالروح – الي العلاء – حيث رأت من بعيد شخصاً قبيح المنظر جداً (إبليس). يحتج علي اللّه، لأنه خطف ما كان له في الأرض (الشابة التائبة)!!

فسمع عدو الخير، صوتاً من السماء يقول له: «إن الرب قد أحّب أن يرحم الخُطاة التائبين». وحكت القديسة أيضاً أنها قد سمعت صوتاً حنوناً، يُعلن لها أن الرب قد خصّص لها رئيس الملائكة«ميخائيل». لحراستها من الشياطين! (فما أعظم بركات التوبة)!

خلوة روحية:

ولما ذاع صيتها، في حياة القداسة والنعمة، عمدها أسقف المدينة، ولما عاد اليها الأب «جرمانوس» أدخلها بيتاً للعذارى الحكيمات فسلكت في التقوي والأعمال الصالحة. وحفظت كل المزامير، في شهرين فقط! وصارت قُدوةً لكل العذاري، الي أن أصبحت مُرشدة روحية، ورائدة لهن أيضاً.

تجربة إبليس:

تظاهر شاب شرير بالتقوي، لأنه إشتهي القديسة إفدوكيا، ففكّر في إختطافها، ليتزوج بها. وفي سبيل تحقيق غرضه، مضي في رياء الي القديس جرمانوس، ليقبله راهباً عنده!!

فنصحه القديس بأن طريق النُسك، صعب وكَرب، وأنه لم يزل صغيراً بعد، وضعيف علي مُحاربة الشياطين، وممُارسة الزُهد الزائد! لكنه أقنعه بسيرَة إفدوكيا المُجاهِدة، وتأثُره بسيرَتها الطاهرة! وظل الشاب المسكين يُجاهد لتحقيق هدفه الشرير. ولم يؤنبّه ضميره المَيّت!!

فجاء إلي القديس طالباً أن يأذن له بمقابلة الرَاهبة إفدوكيا لنيل بَركتها (وفي نيته فعل الشر معها)! ولما وقف الشرير أمامها. وبدأ يخاطبها بكلام دَنس حسب أفكاره الغير طاهرة، وبختّه القديسة علي شروره، بكلمات قاسية ومُخيفة سقط علي إثرها علي الأرض، ومات علي الفور! وهكذا خَلّصت الطُوباوية من فخ الشيطان!

جهاد طويل وإكليل مجيد:

ثم حّضر عدو الخير «أوريليانوس» والي المدينة. لما عَلِم بتعميد إفدوكيا علي إسم المسيح، وظن أنها قد أخذَت كل أموالها الكثيرة (التي جمعّتها من تجارة الدنس)، الي بيت العذاري فأرسل جنوده ليستولوا علي كل مالها. ولكن في الطريق، وثب عليهم وحش ضخم. قتل بعضهم، وهرب البعض الآخر، وأبلغوا الوالي بما حدث لهم!

ثم عاد الوالي، وأرسل إبنه الوحيد، مع الجند، فرفسه حصان. ووقع ميتاً.ولما أراد الوالي الإنتقام من إفدوكيا، نَصحه

صديق له بأن يذهب اليها. وأن يرجوها تُصلي، لكي يُقيم اللّه إبنَه من الموت! وفعلاً قام ولده حَياً بصلاتها. فتركها الوالي دون أذي (كما قال الكتاب «إن أرضَت الرب طُرق إنسان، جعل أعداءه يُسالمونه»).

ولما مات الوالي، وتولي بعده الوالي «ديوجينس»، وكان يهوي الزواج من أخت الوالي السابق، وتُدعي «جلاسيا» ولم يكن يعلم أنها قد صارت مسيحية، بتشجيع إفدوكيا. فلماعلِم بأنها نذَرت بتوليتها للمسيح، إغتاظ وأراد أن ينتقم من إفدوكيا. فأرسل لها خمسين جُندياً لعقابها، وكان الرب قد أعلَمها – في رؤيا سابقة – بما سيحدُث لها من آلام، ووعدها بالمَعونة.

آلام وإكليـــــل:

ولما وصل اليها الجُند، رجَتهُم القديسة بأن يتركوها حتي تُصلّي، وتتناول من الأسرار المُقدسة، لكي تستمّد قوة من الأعالي. ثم توجهت معهم الي مقر الوالي، ولم تُنكر إلهَها، وأعلنت له بكل شجاعة أنها مستعدة لكل عذاب، من أجل الرب.

فمزَّق الجُند جسدَها بالسياط. وفي أثناء التعذيب هبت زوابع

وأعاصير، أحدثت دماراً هائلاً، وهلك كثيرون - من الحاضرين - بسبب إنقضاض صاعقة عليهم! أما القديسة فلم يمسها أدني سوء، لأن ملاك الرب ظلل عليها، أمام الحاضرين! فآمن بعض الجنود بالمسيحية، وأعلن أحدهم استعداده للموت من أجل المسيح .

فطلبت منه القديسة أن يذهب الي أسقف المدينة. ويُعلن إيمانه ويعتمد علي إسم المسيح، وكان هذا الجُندي قد فقع أحد الجُند عينَه. فصلّت إفودكيا من أجله، فأبصَر بكلتا عينيه!! وبسبب هذه المعجزة، أطلق الوالي سبيلها، فعادت الي حياة النُسك والجهاد الروحي.

ولما تولي حاكم جديد، من قبل الإمبراطور الروماني «تراچان» الشرير، وزاد إستمالة القديسة إفدوكيا للوثنية. فلم يفلح في أن تُنكر إيمانها بالمسيح، وأمام إيمانها وأمانتها للرب، صمّم الوَالي علي قتلها سراً، خوفاً من الشعب، بسبب محبة الناس لها. فقطع الجندي رأسها سراً واستراحت من أتعاب الجسد، وإنطلقت الي المجد، بَركة صلواتها وشفاعتها، تكون معنا آمين.

(٩) القديسة الشهيدة يوستينة

سلاح الصلاة:

كانت شابة جميلة في الروح والجسد. وقد كرسّت حياتها لعريسها يسوع مُعطيةً له قلبها وحُبها. وحَدث أن رأها شاب وثني، فخلَبه جَمالها الجسدي، واشتعل قلبه بهَواها، وأراد أن يتزّوجها. ولكنها أخبرّته أنها ستعيش بتولاً. علي مِثال «أم النور».

فمضي الي ساحر كبير بقرطاجنة (تونس)، ويُدعي «كيريانوس» وعرض عليه مالاً وفيراً، ليعمل بسحِره، علي ميل فِكرِها من نحوه، ولكن الشابة العفيفة كانت تُداوِم علي الصلاة والتسبيح الدائم لله، فلم يكُن للسِحر تأثير عليها وكان كلما ذهب اليها الشيطان، ليُلقي في قلبها بأفكار الشَهوة، ، والميل نحو الشاب الشرير، كان عدو الخير يجدّها مُنشغلة عنه، بالتسبيح والمديح، وكان قلبها مُتعّلقاً دائماً بالسمائيات (وهو درس لكل نفس).

فشل عدو الخير:

وكان الشيطان يعود الي الساحر كبريانوس – في كل مرة – مُظهراً فَشله الذريع، في إيصال أية أفكار شهوانية، الي قلب الفتاة الطاهرة، التي تَعلّق قلبها وفكرها بالله، بصفة دائمة (ونُلاحظ إن «مُخ الكسلان مَعمل للشيطان»).

ولما ضَاق الساحر ذَرعاً بالشيطان، هددّه بأنْ لم يأتِ إليه بسرعة، بالفتاة يوستينة، فسوف يحرق كل كُتب سحرِه. ويعتنق المسيحية، فظهر له المُخادع في شكل «فتاة»، فتقَدم اليها كبريانوس، ونادي بإسمها، فانّحل الشيطان المُتشبّه بها – كالدُخان. وهرب خازياً!

فلما ظهر ضَعف عدو الخير، أمام قوة الصلاة، وإنشغال الفِكر الدائم بالله، قام كبريانوس وأحرق كل كُتب سحرِه، وأعلن إعترافه بالمسيح. ونما في النعمة. ثم اعتزل زوجته وأولاده، وقضي بقية عُمره في الدير. الي أن أُختيرَ رئيساً لأساقفة قرطاجنة، وتعرّض للإضطهاد المرير، ونال إكليل الشهادة. بعد أن ترك لنا كتابات وأقوال روحية نافعة كثيرة!

وهكذا كَسبت يوستينة – بطهارتها ونقاوة قلبها – شخصاً

شريراً جداً - وصار قديساً عظيماً، بفضل أمانتها لعريسها، وعدم إعطاء فكرها لعدو الخير وهو درس لكل إنسانة مسيحية لا تستجيب للأفكار العالمية أو الشهوانية، ولا تُعطي قلبها لأية كلمات عالمية مُعثرة، لاسيما وأنها «هيكل للرب» وروح الله يسكن فيها، ومن يُدنس جسده المُقدس يتعرض لعذاب شديد في الدارين.

هذا وقد اختار القديس كبريانوس «يوستينة» لتكون رئيسة لدير للراهبات، فرعتهن أفضل رعاية، ونالت كل أصناف التعذيب، من أجل المسيح. ثم نالت الإكليل - مع القديس كبريانوس - بركة شفاعتهما وصلواتهما، تكون معنا، آمين.

(١٠) القديسة سينكليتيني

خادمة أمينة للرب:

كانت هذه العذراء الحكيمة، من أسرة شريفة غنية بالإسكندرية، وكانت قد وصلت الي درجة عظيمة من الثقافة الروحية، والعلمية أيضاً. وكانت تنظر الي مباهج العلم. ومفاتنه الزائلة كأنه «سراب» خادع للعين. وهو عين العقل.

وحينما كانت ترى الثياب الفاخرة، والجواهر النادرة. التي كان أبواها يُحضرانها لها، بأغلى الأموال، كانت تشيح بوجهها عنها، وتتذكر أن كل هذه المُغريات المادية، هي أشبه بالمُسكن المؤقت، الذي يلبث مَنْ يتعاطاه أن يزداد شعوراً بالألم.

وقد داومت البتول على حياة الصلاة والصوم، والنُسك الزائد، في بيت والديها، دون ما اعتراضٍ منها عليها: لا سيّما عندما بدأت النعمة الروحية تنسكب عليها. فلما انتقلا كلاهما بسلام، الى عالم النور، قامت الشابة الأمينة، بتوزيع ميراثها على الفُقراء، لتُرضي عريس السماء. وأخذت القديسة أختها الوحيدة – وعاشتا معاً – في مَقبرة مهجورة محفورة في الصخر!

وظلّتا تُجاهدان معاً، من أجل الملكوت – لعدّة سنوات – فكان يتردّد عليها عدد كبير من الشابات. وكانت القديسة تُشجّعهن على سلوك طريق القداسة. وكانت تُقدّم لهن النصيحة والمَشورة والمساعدة في حل المشاكل، والدعوة لتحمُّل آلام الزمان الحاضر، لنوال الراحة، في الأبدية السعيدة.

قدوة صالحة:

وكان من الطبيعي، أن تتأثر بعض هولاء الشابات، بقُدوتها الصالحة ويُقررّن المكوث بجوارها، فانتقلت معهن وعاشت حولهن، في دير للعذاري خارج مدينة الاسكندرية. مُكرسةً وقتها لإرشادهن الي خلاص أنفسهن.

ومن الجدير بالذكر، أننا نقرأ في سيرتها المُباركة، أن الصوم الكثير (الزُهد الزائد عن الحد) لم يُغيّر من جمالها، ولم يُنقِص السهر الروحي الطويل من جمال منظرها.ولاشك فإن حياة العفة تنعكس بدورها علي جمال الروح والجسد، وتعطي المؤمنة جمالاً روحياً يفوق كل جمال جسدي، بما تحمله من صفات جميلة، كالإتضاع والمحبة والرحمة ... الخ.

تجربة صعبة ثم راحة دائمة في الفرح الأبدي:

ظلت العذراء الحكيمة، في جهادٍ مُستمر – مع بقية أخواتها المؤمنات الي أن تعرّضت لمرض شديد (مثل أيوب الصدِّيق). تحّملته بكل رضا وشكر. ودام فترة طويلة، وهي صابرة وشاكرة (وهي مِثال لكل مؤمنة مُجرَّبة بالمَرض).

وقبل إنتقالها الي السماء، بثلاثة أيام، رأت الملائكة وهي تدعوها الي فرح السماء الخالد - فعلمتَ أن ساعتها قد جاءت، فودّعت العذاري الحكيمات، وشكرت الرب علي بركة الألم، ثم رقدت بسلام، بَركة صلواتها، تكون معنا، آمين.

(١١) - القديسة مريم المصرية

لقاء بتدبير السماء:

كان القديس «زوسيمَا» القس راهباً ناسكاً، في أحد أديرة فلسطين الشرقية. وكان من عادته أن يقضي فترة «الصوم الكبير» في التَوحُّد في إنفراد مع الله، علي أطراف الصحراء الشرقية، فاجتاز الصحراء (شرق نهر الأردن). وفيما هو يصلي لمح القديس **شبه إنسان**، يمشي بالقُرب منه، فظنه شيطاناً. فرسم ذاته بعلامة الصليب. ولما أدرك أنه شخصاً أسرع نحوه. وإذا به صوت إمرأة، نادّته بإسمه!! وطلبت منه أن يَدّعها وشأنها!!

فلما ألحّ عليها القديس «زوسيما» لكي تُعرّفه بشخصيتها. طلبت منه أن يُلقي لها بردائه، وهي في حُفرَة من الأرض (لأنها كَانت شبه عارية).

حياة لا تمجد الله:

وبدأت تقصُّ عليه سِيرتَها الأولي، بخجل عظيم! فقالت له أنها لماكانت في سن الثانية عشرة، أصطحبها والداها معهما الي الإسكندرية. وكان الفساد ينتشر بها. فأفسدَت طهارة ذهنها، ثم سعت وراء شهوة الجسد، بعد موت والديها، ففقدت بكوريتها، وعاشت في الخطية، سبعة عشر عاماً! أطال الله أناته فيها عليها، وهي بهذه السيرة الردية!

وذات مرة، رأت جمعاً من الحُجاج في طريقهم للسفر لأورشليم بالبحر، فالحّت علي البحارة، أن يأخذونها معهم! وكانت في نيتّها إهلاك النفوس هناك!! ولما كانت لا تحمل معها نقوداً

فقد تاجرت بجسدها، في الطريق الي القُدس! واحتمل البحر فِسْقها، وعثرّتها للنفوس البرئية، لطول أناة اللّه علي كل الخُطاة، حتي آخر نَسمة من عُمرهم!

وعند باب كنيسة القيامة، همّت الشريرة بالدخول، مثل بقية الحُجاج، ولكن قوة إلهية خفية، كانت تُوقفها، ثم طردّتها - تدريجياً - إلي ما وراء الصفوف. ولكنها ظلت تقّاوم - وهي في نجاستها - لكي تدخُل الي القبر المقدس. وحاولت أربع مرات ولكن بدون جدوي!

فجلست لحظة - مع نفسها - تُفكرّ في ماضيها الشرير، وعدم استحقاقها للدخول، لهذا المكان المقدس. ثم انفجرت في البكاء، والندم علي خطاياها، بعدما وبّخها الروّح القدّوس. ثم وقفت عند باب الكنيسة، أمام أيقونة لأم النور «مريم»، وصرخت من كل قلبها بخزي قائلة: «يا عذراء... إنني أدرك مدي قذارتي، وعدم استحقاقي لأن أدخل الي كنيسة اللّه.... فإرشديني يا أمي»!!

جهاد مستميت ضد رغبات الجسد:

ولما عاودت المسكينة تكرار المحاولة، للدخول الي قبر المسيح، دخلت هذه المرة، بسهولة عجيبة!! مما إعتبرته استجابة سريعة لصلاتها، وقبول توبتها. ثم سمعت صوتاً يدعوها لعبور نهر النيل.

وفي طريقها للبرية الشرقية، أعطاها رجل صدقةً، عبارة عن ثلاثة قطع من الفضة، اشترت بها ثلاث أرغفة. وواصلت سيرها، حتي وصلت الي ضفاف نهر الأردن، حيث إعترفت - في كنيسة القديس يوحنا المعمدان - بكل ما فعلته من آثام، وأعلنت الندم التام، وتناولت من السر الأقدس، غذاءً ودواءً وعزاءً، وشفاءً للنفس المريضة بداء الخطية المميت.

وأخذت تسير بمفردها، في صحراء واسعة. غير مأهولة بالسكان! **واقامت بها ٤٥ سنة كاملة**، في سياحة روحية، مع اللّه، الي أن تقابلت مع أنبا زوسيما القس.

وقد روت له التائبة، أن الشيطان قد حاربها بشدة، بحياتها الأولي في الدنس، كما ذاقت آلاماً متواصلة من حرمانها من لذة

الخمر، والأغاني القبيحة، التي اعتادت علي سماعها، في أماكن الفساد. فكانت تقرع صدرها. وترجو الرب المُحنّن - بدموع غزيرة - لكي يُبعد عنها الخيالات والذكريات القديمة، والأفكار الشريرة، التي عانت منها بشدة، فترة طويلة!

وكانت تتناول الأعشاب البرّية وجذور النباتات الصحراوية. وقد بلّيت ثيابها من طول السنين، وتمزّقت تماماً، حتي أصبحت القديسة بلا ثياب في حرارة الصيف الشديدة، وفي برودة الشتاء القارسة! حتي أنه كان يُغمي عليها من صعوبة الجو الصحراوي، الذي لا يُطاق! ولم تُشاهِد أي بشرٍ، طوال هذه الفترة الطويلة!

وبعد أن قرر القديس «زوسيما» العودة الي ديرِه، رجّته أن يعود اليها في العام التالي، ومعه السر الأقدس، لكي تتناول منه بُشكر. وفي نفس الموعد من الصوم الكبير، عاد اليها الأب زوسيما، وناولها حسب رغبتها، ثم عادت وتوسلت اليه أن يزورها في العام التالي، فتركها وعاد الي ديره، ونسي أن يسأل عن إسمها!

الراحة الأبدية:

ولما مضي اليها القديس «زوسيما»، ودار حول مغارتها، ونادي عليها، لم يجد استجابةً لندائه! فتطلّع في الأفق أمامه. فإذا به يري المُجاهِدة ساجدة، ووجهها يتجه نحو المشرق، ويداها بلا حَراك. فركع علي ركبيته وبكي، ثم صلّي عليها ودفنها، وواري عليها التراب. هذا وقد عَثُر علي عبارة مكتوبة بجوارها هي: «يا أب زوسيما!! إدفن هنا جسد «مريم» البائسة، واترك للتراب جسد الخطية، وصلِّ من أجلي». وبذلك عَرِف إسم القديسة «مريم» المصرية. وكانت نياحتها السعيدة سنة ٤٢١ م.

فرجع القديس زوسيما الي ديره، وأخبر القديسين بهذه السيرة العطرة، وهذه النفس التي جاهدت من أجل خلاص نفسها، ونالت مُرادها. وهناك عند مدخل كنيسة القيامة (بالقُدس)، نجد «هيكلاً» بإسم هذه القديسة، تذكاراً لها. بَركة صلواتها تكون معنا. آمين.



(١٢) القديسة ڤيرونيا

بين شقي الرحي:

هاجم الأمويون بعض قري الصعيد، في محاولة لإخماد ثورة البشامرة (٧٥٠م). وأحرقوا في طريقهم بعض الأديرة العامرة، وأخذوا منها الراهبات بالقوة!

ويروي المقريزي أنهم عندما وصلوا الي مدينة «أخميم» دخلوا ديراً للعذراي الحكيمات، وكانت معهن عذراء عفيفة جميلة الصورة، تدوعي «ڤيرونيا» (أي محبة) كانت قد دخلت الدير، وهي في الثالثة من عمرها!

ولما نظرها الجُند بُهتُوا من جمالها الجسدي الخلاَّب، فأمسكوها بالقوة وتشاوروا فيما بينهم، ماذا يفعلون بها؟! فرأي بعضهم أن يُلقوا قُرعةً عليها، لتكون من نصيب أحدهم، بينما أشار آخرون، بتقديمها «هدية» للخليفة الأموي! أما هي فقد صممت – في قلبها – أن تظل عروساً للمسيح وحده!

حكمة سمائية:

وفيما كان الجند يتشاورون في هذا الأمر، طلَبت البتول أن تُقابل رئيس الجند، وأعلنَت له بأن لديها شيئاً تحتفظ به، يُساوي أموالاً طائلة! وأخبرته أيضاً أنها قد نذرت حياتها للرب، وأنها ترغبُ في أن يُطلِقوا سَراحها، في مُقابِل هذا الشيء الثمين!

وأضافت العذراء الحكيمة قائلة إن لديها دواء، يدهنون به الرقاب، فلا تُؤثِر فيها السيوف الحادة! وأعلنت له قائلة: «إن أخليّت سبيلي، دفعتّه لك! وإن كنت لا تُصدّق كلامي، فأنا أدهن رقبتي قُدامك. واستخدم أقوى سلاح عندك وأقدر رجالك، على أن يضربني بسيفه، لتتأكد من فاعلّية هذا الدواء العجيب.

وكانت نيتّها قطع رقبتها، حتى لا تتدنس عفتها مع أحدهم! (وهو درس لكل العذاري الجاهلات، اللواتي يبعن المسيح. لقاء زواج شهواني «مؤقت». من غير مسيحي، طمعاً في لذة أو مادة. أو مَسكن، ويدّنسن هياكلهن، التي هي للروح القُدس. ويخسرن المستقبل الأرضي والأبدي)!

عروس المسيح تزّف إليه:

دخلت الشابة العفيفة «ڤيرونيا» الي مخدعها، وأتت بزيت مقدس (مُصلَّي عليه من الآباء القديسين، للبَركة والشفاء). ودهنت به رقبتها الطاهرة، وأستودعت روحها في يد الرب، وصلّت الي اللّه، لكي يقّبلها عَروساً له وحده.

ثم دعت قائد الجند، أن يأمر أقوي رجاله وأشجعّهم، ليضرب عّنقها، بكل ما أوتي من قوة! فطارت رأسها علي الأرض، أمام الحاضرين، فأدركوا هدفها المقدس، وندموا علي تَصرّفهم (لترك فتاة جميلة جداً تموت، دون أن ينالها أحدهم!!).

وهكذا نَعمتَ ڤيرونيا – مع العذاري الحكيمات – بالعريس الخالد، وبالعُرس الأبدي. وقد أشار المؤرخون العرب، الي هذه الفتاة الطاهرة، بالتقدير والثناء. علي ما أقدَمت عليه، لتظل عروساً للمسيح وحده. فما أعظم الوفاء لعريس السماء!



(١٢) القديسة إيلارية

الاستعداد لحياة البتولية والتكريس:

وُلِدَت الأميرة «إيلارية» إبنة الملك البيزنطي «زينون»، في الربع الأخير من القرن ٥م وقد ربَّاها والدها - مع أختها «ثاؤبستة» تربية روحية، وعلمَّاها الآداب المسيحية العظيمة.وكانت إيلارية دائمة التفكير في حياة الرهبنة، ولم تُفكِّر في مباهج القصر الامبراطوري. ولا أن تكون يوما ما أميرة للدولة الرومانية الشرقية الواسعة. ولما دخلت الكنيسة - ذات يوم - سمعت صوت الله - في الإنجيل - يقول: « إن كان أحد يأتي اليَّ ولا يُبغِض أباه وأمه... وإخوته وأخواته، حتي نفسه(أي يُحب أحدهم أكثر من الرب) فلا يكون لي تلميذاً» (لو ١٤:٢٦) فقررت أن تحيا حياة بتولية، بعيداً عن مباهج الدُنيا الفانية.

الي البرية:

فتركت الفتاة القصر الإمبراطوري ومعها قضيب من ذهب غالي الثمن. وركبت سِراً في سفينة مُتوجهة الي الإسكندرية، دون أن يَعرِّفها بحارتها بأنها الأميرة، لأنها إرتدت ملابس الرجال!

وبعدما شاركت في القُداس الإلهي بالكنيسة المرقسية بالإسكندرية، طلبت من أحد الشمامسة أن يّصحبها - علي نفقتها - في رحلة إلي آباء وادي النطرون، وكانت في ذلك الوقت في الثانية عشرة من عمرها فقط، وقد تَسمّت بإسم «إيلاري».

وفي دير القديس مكاريوس الكبير، إلتقي الشاب «إيلاري» بالقديس «أنبا بموا» وأعلمه برغبته في الرهبنة هناك، فحدّثه القديس عن تعب الرهبنة في البرّية، وهو لم يزل بعد حَدَثاً صغيراً جداً. ولكن لما سمع القديس كلام هذا الفتي،وأعجبه حديثه وحكمته، ورغبته في حياة البتولية، وافق علي تحقيق مُراده وقرر أن يعيش بين القديسين، لعبادة الرب الأمين

جهاد متّواصل في البرّية:

بعدما نما الراهب إيلاري في النعمة والقامة، وفي الحياة النُسكيَة، ألبسه القديس «بموا» إسكيم الرهبنة. وكان يفتقده - في قلايته - مرتين كل أسبوع، وقد إستطاعت العذراء المُتخفية «إيلارية» أن تتعلم اللغة القبطية، في ثلاث سنوات، ونجحت في أن تُخاطب مُرشدها الروحي بها!

وكان الرهبان يتعجبّون من أمر هذا «الراهب» الغريب، بسبب تزايده في النُّسك، ونُموه بسرعة في حياة النعمة! وهكذا مضيَ علي إيلارية سبع سنوات، في جهادٍ مُستمر، من أجل خلاص نفسها. فأعانها اللّه علي تحقيق أُمنيتها.

ولما لم تُنبت للراهب «إيلاري» لحية، أطلقوا عليه إسم «الراهب الخِصي» وعللّوا رَخاوة صوته، بكثرة النُّسك. ولكن اللّه كشف أمر القديسة إلي الأنبا بموا، فعرف حقيقة أمرها، وأوصاها بألا تُخبرَ أحداً!

اللّه يُعلن الحقيقة:

فشل الامبراطور زينون في العثور علي إبنته، وحزِن بالأكثر حينما صَرع شيطان إبنته الأخري! فنصحه عُظماء المملكة، بإرسالها الي شيوخ الرهبنة (الأقباط) في مصر، ليُصلوا لها، لإخراج الروح النجس منها. فأتوا بها الي الراهب إيلاري. ولما نظرتها إيلارية عّرفتها علي الفور (أما ثاؤبستة فلم تعرف أختها بسبب تغيّر شكلها، وإرتدائها لملابس الرجال! وأخذتها إيلارية الي

قلايتها وصلّت لها، فهرب منها الروح الشرير. ولما رجعت الأميرة إلي القسطنطنية. أخبرَت والدها بالراهب «إيلاري» الذي شفاها، وكان يضجع معها علي فراش واحد! فتعجّب الملك من أمره، وأراد أن يراه، فكتب للقديس بموا راجياً إحضار الراهب إيلاري للعاصمة البيزنطية.

اللقاء مع الوالدين

وبعد إلحاح قبل إيلاري الخصي، أن يمضي الي العاصمة، خوفاً من غضب الإمبراطور علي الرّهبان. وتقابلت القديسة إيلارية مع أهلها، دون أن تكشف لهم حقيقة أمرها. فلما شكَره الامبراطور، سأله عن سبب اضجاعه مع إبنته في فراشٍ واحد، أُحرِجَت القديسة، خوفاً من غضب الرهبان لاتهامهم بالفساد، وحفظاً لسُمعة أختها، فطلبت من الإمبراطور أن يُقسِم علي الإنجيل بأن يتعهّد له بألاّ يعيقه عن العودة الي ديره، بعد إذاعة سِره. فحلف له بذلك.

وأخيراً اضطرت إيلارية أن تُعَرِف والديها بقصتها كاملة،

فبكيا معاً من شدة الفرح، وفرحت معهما كل الدولة! ولما أراد إلباسها ثياباً ملوكية غالية، رفضت الفتاة المتواضعة وظلت بلبسها النُسكي الخشن، وتناولت الطعام الرهباني البسيط!

عودة الي الطريق الضيّق:

وبعد ثلاثة أشهر، طلبت إيلارية من والديها أن يسمحا لها بالعودة إلي قلايتها في البرية المصرية، بعدما ذكرّتهما بالتَعهد علي الإنجيل، فعادت الي دير القديس مكاريوس وأوصي الأمبراطور بإرسال مؤونة سنوية - الي الدير - من القمح والزيت.

وتعجّب آباء البريّة من تفضيلها حياة النُسك والتعب، والصوم والزُهد علي حياة القصور، والطعام الشَهي! وكيف أنها سلكت في إشباع رغّبتها الرُوحية طريقاً شاقاً وتخلّت عن الفراش الحرير، لتنام علي الحصير، وتلذّذت بعشِرة اللّه، في الصحراء الجرداء، بدلاً من مُصاحبة الأمراء، وصارت عروساً للمسيح، بدلاً من مُتعة العالم الفاني.

وبعد خمسة أعوام أخري من الجهاد في سبيل الملكوت، أحسَّت البتول بدنو ساعتها لتنطلق الي عريسها، فرسَمت ذاتها بعلامة الصليب، وتنيَّحت بسلام، بعدما أوصَّت الأنبا بموا بدفنها بملابس الرهبنة الخشنة، التي عاشت بها في الدُنيا، ولكن يسوع الذي لا ينَسي أبداً تَعب المحبة، سوف يُلبسّها حُلَة.نورانية روحية في العُرس المجيد السعيد، بَركة صلواتها تكون معنا آمين.

(١٤) القديسة مريم التائبة

اللجوء المبُكر الي البرّية:

كان القديس إبراهيم يعيش متعبداً في مغارته (في العراق)، عندما فُوجيء – ذات يوم – بأناسٍ يأتون إليه، ويتركون عنده إبنة أخيه «مريم»، التي تنيّح والداها. وتركاها وحيدة، وكانت حينذاك في السابعة من عمرها فقط! فأسكنها القديس في الغُرفة الداخلية لقلايته، وفتَح لها نافذة فيها، كان يُكلَّمها من خلالها كلام الله، وحفظ المزامير (صلوات الأجبية) فأطاعتّه ونمت في النعمة والقامة الروحية.

ثم بنَي لها القديس قلاية بمفردها بالقُرب منه (في الجبل) وكان يفتقدها ويُزوّدها بإرشاداتِه الروحية. وعاشت علي هذه الحال، الي أن بلغت العشرين من عُمرها.

حروب الجسد:

وبدأ الشيطان يُنصب فخاخه، حول الشابة مريم، لاصطيادها، فكانت تقول للقديس إبراهيم عن مُحارباته. فكان يوجّهها الي كيفية التَغلُّب عليها، وكان يصلي من أجلها، ليحفظها اللّه بنعمته.

وكان أحد الأخوة يتردَّد علي القديس، لأخذ بركته، فاستغل الشيطان فُرصة وجوده بالقرب من مريم المُتوحدة. فخضعت لأفكار عدو الخير! فاستمال إبليس قلبها تدريجياً (نحو الحُب الدنس) فسقطت مع الشاب المسكين. وسرعان ما أدركت الفتاة الخاطئة عِظم جُرمِها، فازداد حُزنها وكرْبها. فجاءها شيطان الكآبة فتمنَّت المَوت علي الحياة!!

ثم تسلّط عليها شيطان اليأس، بعدما ذكرّها أنها قد أفسدَت

طهارتها، وأضاعت صلواتها وأسهارها الروحية، وسخَرت منها الشياطين، فيئست من إصلاح حياتها! وأخفّت ما حَدث لها عن عمها (وأبيها الروحي)، خجلاً منه للأسف (وهو ما يُحدث لكثيرين، فيزدادون إنحداراً في الشر) ودفعها شيطان الخَجل الي الهرب الي العالم، وانحدرت تدريجياً في الدَنس، حتي عاشت في بيت فاسد، لبيع جسدها للنجاسة، لتأكل عيشها!

وفتّش القديس «إبراهيم» عن إبنة أخيها، فلم يجدها. وانتظر رجوعها الي قلايتها لأنه ظن أنها إنفردت - بعض الوقت - في خُلوة روحية بالصحراء، ومرّت الأيام والشهور، ولكنها لم تَعد اليه!!: «تُرَي أين ذَهبت مريم»؟! قال ذلك مُخاطباً ذاتَه.

الله يكشف الأمر للقديس:

ظل القديس إبراهيم في حَيرة من أمره، وظل يُصلّي طَلباً لمعونة اللّه، لكي يُرشده اللّه إليها، فرأي - في رؤيا أن تنيناً ضخماً قد قفَز الي قلايته، وافترس حمامة كانت عنده! ثم تكرّر نفس الحُلم، واذا بهذا الوحش يدخل القلاية، ثم ينَشق الي

نصفين، ووجُدَت الحمامة بداخله، فمدَّ الأب إبراهيم يده، وأخرجها من بطنه! وفـهم القـديس ـ من هذا الحلم ـ أن أبليس قـد سَرق العذراء منه. فمضي إلي صديقه القديس «مار إفرآم السُرياني»، حـيث طلب منه أن يُساعِده في البـحث عن مـريم، وعرِف منه أن الفتاة المسكينة في فُندق شرير!! فحزن في قلبه بشدة. .

توبيخ الرُوح القدس:

فـارتدَي القديس «إبراهيم» مـلابسـاً عسكرية (كـجُندي) وركب حـصـاناً وتوَّجـه به إلي حـيث أقـامت إبنة أخـيـه المسكينة! وسـأل صاحب الفندق عن الصبية الجميلة التي تُدعي «مريم»، لأنه يريد قضـاء الليلة معـها! فأحضـروُّها له، في ملابس عـديمة الحشمة. فـحزن القـديس في قلبـه، ولكنه أخـفي مـشـاعـره. ولما إخـتلي بهـا، لمحت المسوح التي كان يرتديها فوق ملابسه العسكرية. وإشـتمَّت رائحة عـرق النُسك، فثارت فـيـها ذكـريات الصـحـراء! فكَشف لهـا القـديس عن شـخـصـيتـه. وأظهـر لهـا حنان اللّه، وشـدة مـحـبتـه للخُطاة، وذكرّها بأتعابها، ومحبّتها الأولي، وبكلمات نارية وبّخـها

عـمـهـا، علـي إنحـدارها للهـلاك، من أجل شـهـوة عـابرة، ومـدي الخُسَارة الجَسـيـمـة، التي تُصـيـبـهـا منهـا، وتُلحق بغـيـرهـا من النفوس، التي تُسقّطها معها في دنسها!

تعزيات الرّوح القُدس:

وظل القـديس يُعـزّيهـا بكلمـات الرُوح القُدس، حـتي منتـصف الليل فسَبقت دموعها كلماتها، وأعترَفت له بسقطاتها وكيف أنها قد أضطرت الي إخفائها عنه في البداية، فإنحدرت بسرعة نحو الرذيلة (خير لنا أن نُخبر أب أعترفنا. بكل خطايانا، ولا نخجل منه، ولا نتـمـادي في الشـر، حـتـي لا نهلّك بسـبب الخَجل)، ثم سجدَت تحت قدميه. فأمسكها وأقامَها. وقال لها: «إنه ليس بعجيبٍ أن تميل طبيعتنا الي الخطية، بل الغريب أن نَبقي في خطايانا، بعد سقوطنا». (وقد قال أحد القديسين: «اللّه لن يَسألك لماذ أخطأت، ولكن لماذا لم تَتب»!») ونَهض المُتـوحّد، مع مـريم التائبة، وأنصرفا قبل الفجر، دون أن يراهما أحد، ولما كانت الفتاة المسكينة تُريد أن تَحمل مـعـهـا كل مـالـهـا، من الملابس والذهب، أشار عليها القديس بأن تتركها كلها، لكي تَكّمل توبتها، ثم حَملها

معه – علي جَوادِه – وعاد بها وهو مُبتهج الي البرِّية.

الجهاد وعلامة التوبة:

وهكذا رجعت الفتاة نادمةً، الي مغارتها القديمة، حيث قضت فيها بقية حياتها، باكية مُصلّية. وعاشت خمسة أعوام أخري، في جهاد روحي، وواصلت المَسيرة، نحو عريس السماء، الذي أحبَّ رجوعها اليه. وأعطاها اللّه علامة الصفح عن آثامها! فقد أنعَّم عليها بمواهب الشفاء!! وهكذا نالت عربون الحياة الأبدية. ورَقدت في سلام، في محبة اللّه. بركة صلواتها تكون معنا. امين.

(١٥) القديسة ضالوشام

بساطة في العَيش:

كان بمدينة أخميم رجل مسكين يُدعي «موسي»، وكانت له زوجة متديّنة تُدعي «ياشمنوُفا». وقد تنيّح الآب، تاركاً إبناً في الثامنة عشر من عُمره. وكانت الأم حُبلي، فَرزقت بطفلة أسمها «ضالوشام». وكانت هذه الأسرة فقيرة جداً، وكانت تعيش علي العمل بالأجر في الفلاحة، وعلي صَدقات المؤمنين، ولكنها كانت

غنية في «الإيمان» بالمسيح. وهو الأهم.

ولما ثار الإضطهاد – في أيام دقلديانوس الكافر – أمسك الجُند بالابن المسكين «باخوم»، لأنه إعترف بمسيحه بأمانة، وربطوا رأسه بحجرٍ ثقيل، حول عنقه، وجَرُّوه به. وسخَرُوا منه قائلين «إن كان إلهك قوياً فلينقذك»! فخَفّ وأن الحَجر جداً! وكان يسير الشاب وحده، مما جعل قائد الجند يستحلّفه بأن يَطرحه عنه، حتي لا يضلَّ العَسكر بسببه – حسب زعمه – فيؤمنوا بالمسيح! ثم ربطوه في عَجلة. وجَذبوه نحو دار الوالي. ومن شدة الاضطهاد الذي حَدث – في ذلك الوقت – لم يتبّعه أحد من أبناء قريته، ما عدا أمه العَجوز، وأخته الطفلة «ضالوشام»

شهادة أمام الوالي:

تعجَّب الوالي من فَقر أفراد هذه الأسرة المسكينة. فأغرَاهم بالمال، فرفضوا أن يُقلِّدوا يهوذا الخائن، ويبيعوا سيدَهم فضَربوا باخوم بسياطٍ من جلد البقر، حتي سقط علي الأرض كميت، أما الفتاة الصغيرة «ضالوشام» فكان لها – في ذلك الوقت – ثمانية أعوام فقط! وقد إندهش الوالي من ردائها البالي جداً، ومن شدة تمسكها بالمسيح، رغم فقرها الشديد، فأمر الجُند بضربها

بقسوة، حتي وقعت مَغشياً عليها. فصلّي أخوها من أجلها، طالباً أن يتمجدَّ اللّه. فظهرت قوة نورانية عُلوية، وشفتهما معاً من كل جراحهما (فما أجمل وعود الله للمؤمن، في الضيق)

راحة أبدية

أحضَر الوالي ثوبين من الحرير الفاخر، وقدّم للفتاة الصغيرة قليلاً من البخور، لمجرد أن تلقها في المجامر، أمام الآلهة، ووعد بأن يعطيها هذه الثياب الغالية الثمن، إن فعلت ذلك فقط! فلم تلتفت اليه!! ولم تهتم بعطاياه!! فأمر الشرير بأن يضعوا جمَر نار، علي صدر ضالوشام. وتحت جنبّيها، بلا رحمة، حتي تكتوي جميع أعضائها. ثم قيدّوها بسلاسل حديدية، ثم ألقوها في وعاء به ماء مَغلي، وقلعوا أظافر يدي «باخوم» ورجليه. وعذّبوه بعذابات أخري، فآمن كثيرون بواسطتهما، ونالوا أكاليل الشهادة،

ولما رأي الوالي قوة إيمانهما، أمر بقطع رأسيهما بحد السيف. ثم كفنهّما أهل قريتهما بأكفان غالية الثمن، ثم أُودِعَ جسداهما الطاهران بديرٍ حمل إسميهما فيما بعد. بَركة شفاعتهما تكون معنا. آمين.

(١٦) القديسة الشهيدة دميانة

حياتها الأولي:

كـان أبوها «مُرقس» والياً علي البـرلس، في أواخـر القـرن الثـالث. وكـان غنيـاً في النعـمـة وفي الماديات، ولم يكن له سـوي «دميـانة» فـعـمـدَّهـا في عـامـهـا الأول بدير «المَيـمنة». وقـدم نذوراً وأموالاً كثيرة لله. وأقام مـأدبة للفُقراء، وقد إهتم أبوها بتعليمها كلمـة الله، منذ صغـرها. ومن فـرط تأثرّها أنهـا كـانت تتلو آيات الكتاب المقدس، والدموع تتساقط من عينيها، من كثرة فرحها بها!

وقد أخبرَت والدها بأنها قد أحبّت البتولية، وقد صممّت أن تكون عذراء عفيفة للمسيح. ففرح بهذا الفكر الجميل، وإزاء هذه الرغبة المُقدَّسة، بنَى لها قصراً، لتتعبّد فيه لله، وقد إحتفل مرقس بدخولها القصر أسبوعاً كاملاً، قضاه معها في تسابيح روحية وشكر، وحمـد لله، علي عطاياه. وسـمح لهـا بـأن تحـيـا مـعـهـا «أربعون» عـذراء حكيـمـة، عشـقن - مـثلهـا - حـيـاة البـتـوليـة، والتكريس للمسيح، وإستدعي والدها جُنداً لحراستها في خُلوتها الطاهرة، مع بقية العذراي المباركات.

فــخ إبليس:

كَفر دقلديانوس بالمسيح، وتنكَّر له. وارتد الي عبارة الأوثان، بغـواية الشـيطان! وكـان هذا الجـاحـد يُحب «مـرقس» فـولاه علي الفَرمـا (شرق بور سـعيد الحـالية) فـودَّع إبنتـه وسـافر الي مقَر عمله الجديد، وصنـع الامبراطور الشرير ٧٠ صَنماً من الجنسين، واستـدعي جميع الوُلاة، وأمرهم بالسجـود لأوثانِه (في إنطاكـية) وإلا تعرَّضوا للعذابات الشديدة، حتي القتل. فخاف منه ضِعاف الإيمان، وخضَعُوا له، ساجدين لأصنامه. ولاَطف «مرقس» حتي خجل منه. وسجد لأوثانه (مُجاملةً له للأسف الشديد)!

توبيخ الروح القدس:

ولما بلغ القـديسـة دميـانة أن والدها قد ضَعُفَ إيمانه. وبخـرَّ للأصنام، أرسلت اليه رسالةً نارية قائلة: «خيرٌ لك – يا أبي – أن تموت شـهيداً هنا – فستحيا مع المسيح – الي الأبد» فنخست هذه الكلمات – الصـادرة بسـهام الرُوح القُدس الملتـهبـة – قلب مـرقس الوالي فتـأثر بـها بإتضـاعٍ. وندم علي ما فعلَه. وتاب عنه، وأعلن إيمانـه بشـجاعـة – أمام دقلديانوس – فقطع رقـبتـه. ونال إكليل الشهادة. شفاعته تكون معنا ، آمين.

عينة من العذراي الحكيمات:

دبّر إبليس المكائد للبتول «دميانة». في شخص «رومانوس» الوزير الشرير، الذي أخبّر الامبراطور بأن الشابة دميانة هي السبب في إرتداد والدها الي المسيحية، وأوغر صدَره من نحوها. فأمره بالذهاب الي البُرلّس. لتعذيبها بالطرق الجُهنميّة، التي يبتكرها لها. حتي تترك مسيحها!

فذهب الأمير الشرير. وحاصر القصر فأطلت البتول من نافذتها. وأدركت أن ساعة القتال ضد إبليس – قد بدأت – فجمعت العذراي الحكيمات (الأربعين)، وشجعتّهن علي احتمال الآلام، من أجل ربح ملكوت السموات، ورَجت من تَضّعف منهن، أن تُسرِع بالهَرب من الباب الخلفي. لكن العذراي المُستعدَّات. صممّن جميعهن أن يقفن إلي جانبها – في جهادها – ليذهبن معها الي الفردوس. ولقاء العريس القُدوّس. فدخل الرسول من قِبَل الأمير، بكلام تملق بأنه سيزوجها لأمير عظيم الشأن. وأنه سوف يُعطيها كل ما تحتاجه من مال وجَاه إذا هي سمعت لكلامه، وسجَدت لأوثانه!

ولكن دميانة ردّت عليه بحزمٍ، بأنها ترَفض كل إغراءات العالَم

الفاني. ورحّبت بالموت، فأمر الوزير بضربها بشدة - مع بقية العذاري - فشفاها رئيس الملائكة «ميخائيل» عندما أودعت الحَبس!

آلام لابد منها للمؤمن:

وفي حملة تخويف، وحرب نفسيّة للقديسة، استدعي رومانوس العذاري الأربعين، وأمر بقطع رؤوسهن أمامها. ثم أمر بتمزيق جسد دميانة بأمواسٍ حادة. ثم سجنها، حتي تُفكَر في الأمر، فصلّت الطُوباوية الي الرب، لكي يعينها. فأرسل لها رئيس الملائكة«ميخائيل». وخفف آلامها وعزّاها. ثم عاود رئيس الجُند يُلاطفها بالراحة (من الألم) ويِعدّها بأحسن زيجة في العالم! فرفضت القديسة كل إغراءات صديق إبليس المُخادع. وأعلنت له أن لها إشتهاء أن تكون مع المسيح - في السماء - ذلك أفضل جداً (والعَبرة دائماً بالنَهاية).

مزيد من الآلام:

وبدأت سلسلة أخري من الآلام، من أجل الرب، فضربوها بمَرزبه من حديد، ثم وضعوها في إناءٍ كبير، وسكبوا عليها شحم خنزير وزفت، وأوقدوا تحتها ناراً شديدة. فأنقذها ملاك الرب، بمُعجزة ظاهرة وباهرة. فآمن كل الحاضرين - من الوثنيين -

بالمسيحية، وقُطعتَ رقابَهم! واستمر الأمير الشرير في تعذيب العذراء الحكيمة. حتي هبطت علي رأسها «حمامة» بيضاء (رمزاً للرّوح القدُس وتعزياته). ووقفَت فوقها. ثم إختفت. فشُفَيت مرة أخري!!

فآمن عدد كبير بالمسيح. ونالوا أكاليل الشهادة، علي الفور! وعاود رومانوس التلويح لدميانة بالراحة (الزائفة). ففضلّت الآلام الوقتية. من أجل السعادة الأبدية! فإغتاظ الشرير، وأمر بسرعة رفع القديسة - بين أربعة أعمدة - وبدوأ بقطع أجزاء من جسدها اللَين. وكانت كلما قُطعت قطعة من لحمها، تُصليّ وتُشكر اللّه كثيراً. وكلما تألمت أكثر، كانت الجموع تؤمن بأعداد كبيرة (نحو مائة، في المرة الواحدة). وكانت تتحمَس لها. وتُصليّ من أجلها، ليُشدّدها اللّه، في جهادها العظيم. وبعد ذلك قرر الوزير الشرير، أن يُلقيها للوحوش، فلم تُضرّها، لأن الرب سدَّ أفواه الأسود، كما فعل مع دانيال، الأمين للرب.

ثمرة الجهاد المقدّس:

ثم حَدثت زلزلة عظيمة، نزل فيها الرب يسوع بنفسه، وعرّفها بالإكليل المُعَّد للمُجاهدين، من أجل الملكوت. فَوقع جميع الحاضرين مَغشياً عليهم. أما هي فقد فرَحت جداً بالمُخلّص الحَنون، الذي وقف بجوارها، ولم يتركّها لحظة واحدة ولا طرَفة

عين! وتقاطر المؤمنون لتوديعها. وإزداد عددهم. فقال أحد الجُند للأمير الشرير: «إنه لا فائدة من تعذيبها مرة أخري، لأن كثيرين يؤمنون – في كل مرة – بربها» ثم نصحه بأنه من الأفضل قطع رقبتها. فسمع لنصيحته. وتم تنفيذ الحكم علي دميانة الصابرة. وقد سبقها أربعمائة من المؤمنين بإلهها. علاوة علي الأربعين عذراء. اللواتي عِشن معها. ودُفنَت الأجساد الطاهرة. وظلت مَحفوظة في أمان، إلي عهد الإمبراطور قسطنطين (القرن ٤م) حينما حضَرت أمه القديسة «هيلانة»، وأنشأت كنيسة، تليق بكرامة العذراء دميانة. وضَعت بها جسدها الطاهر، مع بقية العذاري الحكيمات، اللواتي عِشن بالأمانة، حتي الموت، وذهّبن معها للقاء العريس في الفردوس، شفاعتهن تكون معنا آمين.

(١٧) القديسة الشهيدة ثيؤدورة

حياتها المباركــــة:

وُلدَت ثيؤدورة، في أواخر القرن الثالث الميلادي. وكان أبوها ثرياً كما كان أحد عُظماء المسيحيين في زمانه. وقد ربّاها أبوها تربية مسيحية مُباركة. وإمتازت الفتاة بجمال المنظر، ورِقّة الطباع. والأخلاق الحميدة، وكانت لا تخرج من دارها، إلا للتوّجه الي الكنيسة، والتناول من الأسرار المقدسة.

ولما صدرت أوامر دقلديانوس باضطهاد المسيحيين شكاها الأشرار للوالي المَحلي بأنها مسيحية... فاستحضرها أمامه. وسرّعان ما استهواه جمالها. فأراد أن يتزوجها، فرفضت بإصرار، وقررّت أنها عروس للمسيح وحده.

تجربة صعبة ورعاية إلهيّة:

إغتاظ الوالي الشرير، بسبب عدم إستجابة الفتاة الحكيمة لميوله الجسدية، فأمر بأن تُودع في منزل للعاهرات، كما أمر بأن تُلقيَ أنواعاً كثيرة من التعذيب البدني (علاة علي العذاب النفسي). وكان قصده من وضعها في مكان الشر، أن تَسقط في الدنس وتيأس. فيُسهل بذلك تركّها للمسيح!

ولكن اللّه لم يترك إبنته الطاهرة، حسب وعده الصادق، إذ بلّغ خبر دخولها الي البيت النجس، لشابٍ مسيحي أمين، يُدعي «ديديموس» فارتدي ثياب جُندي روماني، وأسرَع نحو المنزل الشرير، ودخل الي مَخدع العذراء «ثيؤدورة» فظنتّه من الأشرار، فانزعجت في قلبها، خوفاً علي طهارتها، وعفّتها المُقدسَة فطمأنها الشاب الطاهر، بأنه «أخوها في الرب» وأن عريسها المسيح، قد أرسله اليها لإنقاذها من ورطتها، فشكرت الرب علي محبته ورعايته.

أمـــانة حتي الموت:

طلب ديديموس من العـــذراء الحكيـــمـــة، أن ترتدي لبـــاس الجُندية، الذي أتي به، وأن يلبس هو ثيابهـا. ليسّهل لهـا الهَرب، وأن تخـفي وجـهـهـا، كـعـادة الخـارجـات من أمـثـال تلك المنازل الفـاسـدة. وظل هـو قـابـعاً في مَوضـعـهـا. دون أن يَخشي مـا قـد يحدٌث له من عذاب! ولما أراد الوالي أن يُنَفِّذ أمره فيها، بتعذيبها بدَنياً. إذا هي تمسّكت بإيمانها، وأرسل جُنده الي هناك، فوجدوا الشـاب المسيحي الشجاع، في موضعها! فـاعترف - صراحة - بأنه هو الذي قام بتهريبها سَراً، حفاظاً علي عفافها لأنها أخته، المقدَّسة بَدناً وروحاً، فأمر الوالي بقتلِه!

ولما عَرفت ثيؤدورة بالخبر، أسرعت بالخروج من مخبأها. وأتت الي سـاحـة الإسـتـشـهـاد، وصـاحت بأعلي صـوتهـا: «توَقَّفوا!! لا تنفـذّوا حُكم الإعدام، في هذا الأخ، لإني أنا الذي أستـحّقـه»! ثم خاطَبت الشـاب العفيف قـائلة: «أيها الأخ ديديموس... لا تختلس إكليلي»! فردَّ عليها الشـاب المُحب: «أكملي جّميلي معكِ يا أختي. ودَعـيني أمـوت عَوضـاً عنك»! فـقـالت له الشـابة الحكيـمـة: «لقـد سمّحتُ لكَ بأن تُنقذ عَفافي (من الدنس). ولكن لن أسمح لك الآن، بأن تأخذ إكليلي».

ولما رأي الوالي إصرارَهما علي التمسُك بالإكليل. أمـرَ بقتل

الإثنين معاً وبذلك سافرا معاً الي الفردوس، انتظاراً لنيل الإكليل الأبدي، في يوم العُرس الدائم، بّركة شفاعتهما تكون معنا آمين.

(١٨) القديسة أبولونير (دوروتى)

طاعة وبَركـــة:

في أواخر القرن الرابع. كان «أنثيميوس» قُنصلاً عاماً للدولة. ثم وَصيا علي عرش الإمبراطورية البيزنطية (في القسطنطنية)، لأن الأمبراطور المسيحي ثيؤدوسيوس الثاني، كان لم يزل صغير السن. وكانت للقنصل إبنتان. إحداهما تُدعي «أبولونير». وكانت تعشق حياة البتولية، والتكريس الكامل، وقد رَجت والدها أن يُدخلها الدير، ،لكنه كان يُصرّ علي تزويجها من أكبر الأمراء في زمانه، ودارت بينهما مناقشات طويلة، بهذا الأمر.وأخيراً إقتنع الأب الحكيم، برغبة إبنته المقدسة، فباركها بإسم المسيح، واستدّعي لها عذاري حكيمات، مُكرسات للرب ليعلّمنها الألحان، والتعاليم الروحية السمائية، والسيَر المقدسة، وأقوال الآباء القديسين.

رحلتان مباركتان:

قامت الأميرة «أبولونير» برحلة الي الديار المقدسة بفلسطين ورغم مصاعب السفر، في ذلك الوقت، إلا أنها وصلت الي هناك، بعد عناء. وكانت تختفي دائماً، بعيداً عن الأضواء. وكانت تعتذر عن كافة الاستقبالات الرسمية والدينية. مُفضلة زيارة الأماكن المقدسة بمفردها، دون أن تصحب معها حاشيتها ولا خُدامّها، لأنها كانت تعتقد أن وجدوهم معها ـ في مواكبها ـ يُعتبر نوعاً من تعظُم المعيشة (مظاهر العَظمة).

وقررت العذراء الحكيمة، أن تُسافر الي الإسكندرية، ومنها الي أديرة الصحراء المصرية، ولكن قبل رحيلها طلَبت من سيدة عجوز، أن تشتري لها سِراً ملابس راهب!! وأخذتها معها، وحجبتّها عن أُعين الفتيات اللواتي كن يَخدّمنها!

وفي طريقها الي دير «مارمينا» بمريوط، صَرفت القديسة خدّمها. بعدما أجزلت لهم العطاء، وسافرت مع خادم مُسن.

وباتت ليلتـهـا في أحـد أديرة البنات – في الطريق – وسـارت الي أن وصلت الي بيعة الشـهيد العظيم مـارمينا العـجايبي، وقـضت هناك ثلاثة أيام، تجثو أمام رُفاتِه، وتطلب شفاعته، ليُحقق اللّه لها مُرادَها.

الهرب الي الرب:

ثم قررت الأميرة أبولونير، أن تُسافر الي وادي النطرون، في فترة المساء، مُتعللّة بشدة الحَر نهاراً، وأمضت وقتها فـي الصلاة الي الله، لتحقيق حُلمها في حياة التكريس المباركة. وارتدت ملابس الراهب الخشنة، التي كانت معها، ثم جثت علي رُكبتَيها. راجيةً الرب المُحب، أن يُساعدها في حياتها الجديدة.

ثم هربت وحدها ليلاً! وفي صباح اليوم التالي، إكتشف الخادم والقائد هربها، فعادا وأبلغا والي الاسكندرية. الذي كتب لأبيها عن إختفائها، بعدما حَمل له ملابسها التي تَعرَّف عليها، فحزِن كثيراً علي فقدها!

مع القديس مكاريوس الكبير:

قضت الفتاة الطاهرة. في مكان مهجور بالصحراء. عدة سنوات. بقُرب نخلة.، كانت تمدّها بطعامها. وقد إسمّر وجهها، من شدة الحر، ولهيب الشمس، وتورّم جلدها الرقيق. من لدغات البعوض، وهَزُل جسمها، من قلة الطعام! وفي رؤيا مقدسة. سمعت صوتاً يقول لها «إذا سُئلِت عن إسمكِ. فقولي أنه دوروثي»!

ودبّرت العناية الإلهية، أن تلتقي عروس المسيح بالقديس العظيم: أبومقار» الكبير. فألحّت عليه أن تسكن بجواره (كراهب). فأسكنها مغارة مهجورة علي أطراف مُنحدرات نتريا.

وكان الشيطان يُجرّبها. برؤي مُفزعة. وكانت تحرص ألا تتكلم مع أحد (من الرهبان) بعد خروجها من الكنيسة. وكانت تُغطي رأسها تماماً، حتي لا تُظهر حقيقة أمرها (كفتاة).

+ + +

ولما كانت إبنة «أنثيميوس» الأخري، مُصابة بروح نجس، فقد قَّرر أن يُّرسلهـا الي البـرية المصـرية. ليُصلّي لهـا الآباء هناك. وهكذا تتكرّر – مرة أخـري – قـصـة الراهبـة «إيلارية» السـابق الإشـارة اليـها!! إذ تـذهـب الأخـت، الـي الأب «دوروتـي» (أختـها أبولونير) فتعرّفها وتنجح أبولونير في شفاء أختها، وطرد الروح النجس منها بالصلاة بإيمانٍ تام، الي رب الأنام.

مع الوالدين:

ولما وصلَت الأمـيـرة، الـي القـسطنطنيـة، علِم أبواها بقـصـة شـفـائهـا، بواسطة الراهب «دوروتي» فـاشـتـاق أبوها أن يراها، وأرسل عسكره، لإحضاره من البرّية المصرية. فسافرت القديسة مـعـهم! وقد فـرح الوالدان، عندمـا كشـفت ابولونيـر عن حـقـيـقـة شخصيتها، وشَرحت قصتها كاملة! وبعدما قضت فترة هناك، ألحّت علي والديها، في العودة الي الجهاد، في البرّية المصرّية، بعدما رَفضت كل الخيرات المادية، التي عُرضَت عليها، لتأخذها

معها الي البرّية، وقالت بإيمان: «لسنا في حاجة الي خيرات الأرض، لأنها تُعرِض حياتنا الأبدية للخطر».

حلول ساعة الرحيل المحتوم:

وعاشت أبولونير - في البرّية - مع الرب، ولما دَنت ساعتها، استدعت القديس مكاريوس الكبير، وأعلمته بقُرب رحليها من العالم الفاني، ورجّته أن يدفنها، عندما يجدونها قد فارقت الحياة، بملابسها الخَشنة! فوعدها الطوباوي بتنفيذ رغبتها. ولما تنيحت واستراحت من عالم الظُلمة. وأنطلقت روحها الطاهرة الي عالم النور، وضع الآباء جسدهاالطاهر، مع أنغام الترانيم، في قبرٍ شرقي الكنيسة (بجوار مغارتها). وقد أكرمَها اللّه بالمعجزات، حيث وعَد اللّه بإكرام كل من يُكرمه، بركةً وتعزَيةً في الدُنيا، ثم الحياة الأبدية، بَركة صلواتها تكون معنا آمين.



(١٩) القديسة قفرونيه

مع المسيح في الطريق الضيّق:

لا نعلم شيئاً عن سيَرة هذه العذراء، في حياتها الأولي، إلا أن تاريخها المُقدس يلمع فجأة. عندما أصدر «دقلديانوس» أوامره المُشددّة بعبادة الأوثان واعتقال الخُدام وهدم الكنائس، وقتْل المسيحيين. وكانت قفرونيه ضمن خمسين راهبة من العذاري الحكيمات. يُقّمن في دير، في مدينة إنطاكية السورية. وقد هجرنّ الدير، خوفاً من بطش الإمبراطور، ليتعبدّن للرب، في أماكن جبلية نائية، أما الأخت «قفرونية» الشُجاعة. فقد رفضت مُغادرة الدير، مع زميلتين لها. فقَبض عليهن الجُند! إلا أن القديسة أعلنت لهم بكل جُراءة!! «إقبضوا عليّ وحدي، وأتركوا أُختاي»!! ففعلوا كذلك، وقادُوها وحدها الي أمير المنطقة. لتشهد أمامه بالمسيح.

+ + +

ووقفت البتول أمام الأمير – بكل شجاعة وإيمان – ودار بينهما الحوار التالي:–

الأمير: ما أسمك؟!

القديسة: أنا قفرونّية المسيحية؟!

الأمير: أطيعي أوامري، وبخّري للالهة، لئلا تموتي موتاً رديئاً! ويذبل جمالك وشبابك!

القديسة: لن يتم هذا أبداً! وكيف أترك إلهي الأمين، وأعبد الأوثان النجسة؟!

ولما سمع الأمير هذا الرد منها، غضب جداً، وأمر بتمزيق ثيابها، أمام الجمع كله، ثم دار حوار آخر:

الأمير: أنظري كيف نزّعت عنك ثيابك فدعي هذه الإهانة، وبخري للألهة لكي لا تُهلكي جسدك بالعذاب الشديد!

القديسة: أنا لا أخشى عذابك أيها الكافر. لأن ربي قال في

إنجيله «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن خافوا بالحّري، من الذي يقدر أن يهلك الجسد والروح في جُهنم».

الأمير: من أين لكِ بهذا الكلام والحكمة، والمعرفة، مع أنكِ صبيّة صغيرة!!

القديسة: إن الروح القدس هو الذي يّنطلق علي أفواهنا، حسب وعد الله في إنجيله.

الأمير: دعي هذا الهذيان. وقدّمي البخور، لكي ألبسك ثياباً حَسنة.... فأنت واقفة عٌريانة!

القديسة: إنني لستُ عٌريانة، بل مٌرتدية حٌلةً نورانية، بيد ملاك اللّه، ولا تستطيع أنت أن تنظر إليها، لأن الخطيئة قد طمسّت عينيك!

الأمير: كم أٌطيل روحى عليكِ. أيتها الصّبية الجاهلة!! (وانتهي الحوار).

أكليل النصرة:

فـأمـر الأمـيـر الشـريـر، بأن يّوقدوا ناراً، ويُلقـوا القـديسـة بداخلها. وبعدماقيدُّوها من رِجليّها ويدّيها، بحبالٍ من ليف، ألقوها في أتون النار. وللوقت نزل ملاك الرب، وفك قيودها، وأطفأ النار، دون أن تَحترق ولا شعرة واحدة من رأسها!

واشـتـدَّ قلب الأمـيـر قَسـاوة، بدلاً من أن يَذعن للحَق، وهدد بتـشـديّد العـذاب لهـا. أمـا هـي فـقـد أجـابتـه باتضـاعٍ قـائلة: «إن طاعتَك عَداوة لله، وبعداً للملكوت المُعدّ للمُجاهدين».

فأمر الأمير الشرير بضربّها بالسيَاط. حتي سالَ دمها علي الأرض. وأتي الجُند بأختيها الراهبتين. ورّقتا لحالِها. فقالت لهما: «لا تبكيا، بل إفرحا لأنه يُوجد إكليل مُعدّ لي في السموات».

فتعـجبُ الأمـير من كـلامـهـا. وقـال لهـا: «ما بالكِ لا تسـمـعى مني، وتُضـحي للآلهة. وتُعـرضـي حـيـاتكِ لخطر الموت»؟! فقـالت له بشجاعة: «لن أُقدم بخوراً لأصنام قال عنها النبي داود: «إن لها

أعيُن ولا تنظر، ولها آذان ولا تسمَع، ولها أفواه ولا تنطق.... فليكُن صانعوها مثلها، وكل من يَتكل عليها»!

فازداد غضب الأمير الشرير، وأمر بأن يُمشطوًا جسدَها اللّين، بأمشاطٍ حادة (من حديد)، الي ان سال دمهًا علي الأرض. ثم أضرَّموا ناراً شديدة من تحتها. فهرّب الحاضرون من منظرها، ولكن الشابة القديسة، صبرت علي كل الآلام، بمعونة الرُّوح القدس المعزّي.

ثم أمر الوالي الظالِم بأن يقلعوا أسنانها، وأن يقطعوا لسانها، وإلا فلتتقدَّم للتبخير.فرفضت طاعته، ونُفذّت فيها تلك العمليّة الوَحشية! لكن ملاك الرب شفاها، وشجعّها علي الصمود.

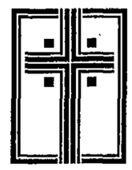
صلاة قبل الإكليل:

وبعد كل هذه الآلام، صلّت القديسة قائلة: «يا سيدي يسوع، أنظر الي ظُلْمي وخلصّني بقوتك... وإني في يديك أستودّع

روحي». ولما تجمهَّر بعض الناس حول الأمير الشرير. محتجين علي قَسوته مع الفتاة، أمر الجُند بأن يضربوا أعناقَهم فنالوا أكاليل الشهادة!

ثم أمر بقطع رقبة القديسة «قفرونية» المُجاهدة». فذبحوها كما يذبحون الجَمل. وتركوها مُلقاة علي الأرض، ولكن روحها الطاهرة صعدت الي عنان السماء، فرحة بإكليل المَجد والبَهاء.

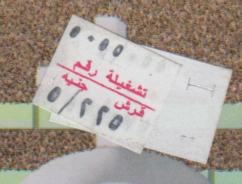
وجاء أحد المؤمنين ليلاً، ولف جسد الشهيدة بالأكفان الغالية. وأخفاه لديه حتي إنقضاء زمن الإضطهاد، حيث بُنيَّت علي إسمها بيعة عظيمة، وأكرَّمها الله بالعديد من المُعجزات، بَركة شفاعتها تكون معنا ، آمين.



تم بحمد الله ويليه الجزء الثانى

الفهـــرست

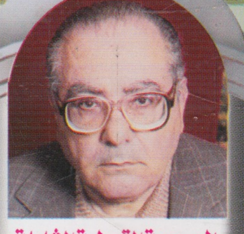
الصفحة



هذا الكتاب

يتضمن باقة من قديسات الكنيسة من العذاري الحكيمات تضم ٦١ سيرة مباركة لشهيدات وناسكات وخادمات مكرسات، وكيف عشن مع الرب وحملن صليب المسيح بفرح وصبر وشكر كثير، حتي نلن أكاليلهن السعيدة.

نقدمه لكل إنسانة مسيحية كنموذج عملي للحياة والجهاد مع المسيح حتي النفس الأخير.



الموسوعة القبطية الشاملة

١- كيف تتخلص من الغضب وتعب الأعصاب.
٢- الملاك الحارس للإنسان والتوابع من الجان.
٣- هل في العالم فرح وسلام دائم؟؟
٤- زيارات خاصة ومعجزات لقداسة البابا كيرلس.
٥- عذاري حكيمات (١).
٦- سيرة وتعليم القديس الانبا أغاثون وآخرون.
٧- العقائد المس ... الخلاص- الك...
٨- سيرة الشه ... اوجيني.
٩- سيرة السائ ... المدن الخمس ...
١٠- مخطوط اباه ...
١١- القس مقار ...
١٢- الخدمة الر ... الخدام).

مكتبة المحبة

٣٠ ش شبرا ت/ فاكس: ٥٧٥٩٢٤٤ - ٧٧٧٤٤٨